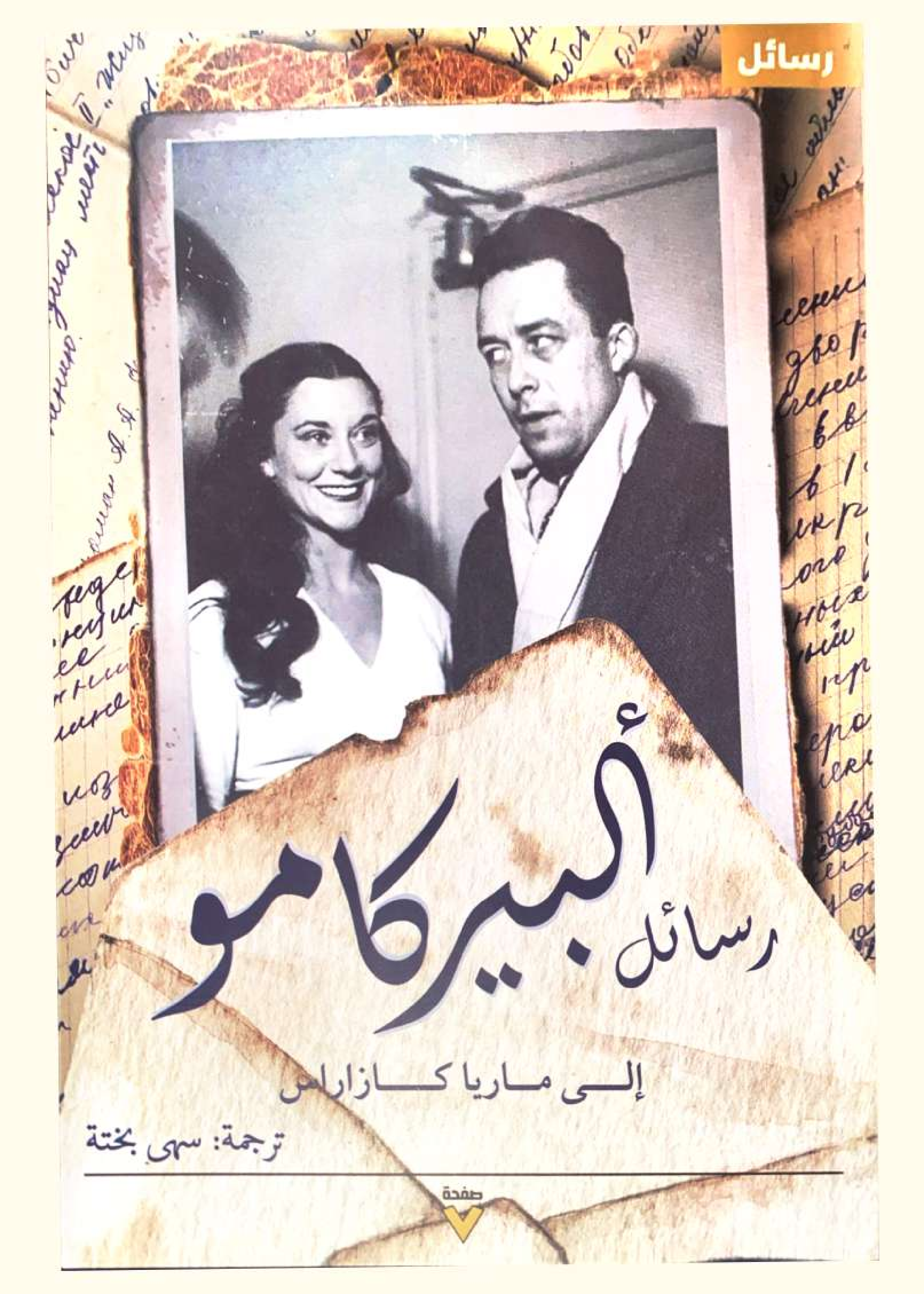


رسائل
رسائل ألبير كامو
إلى ماريا كازارس
ترجمة: سهى بختة
صفحة 7

Letters of Albert Camus to Maria Casarès

Albert Camus

رسائل ألبير كامو
إلى
ماريا كازاريس

تأليف

ألبير كامو

ترجمة: سهى بختة





الكتاب
رسائل ألبير كامو إلى ماريا كازاريس

المؤلف
ألبير كامو

الطبعة الأولى: 2020
الترقيم الدولي
978-60391437-7-1
رقم الإيداع
1441/11841

Email: admin@page7.com
Website: www.page7.com
Tel.: (00966)583210696
العنوان: الجبيل، شارع مشهور،
المملكة العربية السعودية

من الضروري أن نقع بالحب، على الأقل يكون لدينا سبب للبؤس الذي يغمرنا في كل الأحوال...

ألبير كامو


mohamed khatab

رسائل ألبير كامو

إلى

ماريا كازاريس

قبل الحادثة التي أودت بحياته بأربعة أيام، كتب «ألبير كامو» رسالة إلى «ماريا كازاريس» وعدها فيها بتناول العشاء رفقتها يوم الثلاثاء حال وصوله إلى باريس، وقد أخبرها أنه أغلق ملفاته؛ فلا مزيد من العمل، لا شيء سوى الأمنيات الطيبة لرأس السنة. كانت تلك رسالته الأخيرة للحبيبة التي راسلها لفترة امتدت من 1944 ل1959.

ابتدأت قصة «ألبير» و«ماريا» في السادس من يونيو 1944، يوم إنزال الحلفاء بالنورماندي. التقيا مصادفة، وكم يبدو ذلك عبثيا بالنسبة إلى شخص يقول في إحدى رسائله: «على الحبيبيْن أن يفوزا بحبهما وأن يكسباه، أن يبنيا حياتيْهما وشعورهما». كانت ماريا تبلغ من العمر 21 سنة وكان ألبير يبلغ الثلاثين من عمره. أما زوجته «فرانسين» فكانت، آنذاك، بعيدة عنه بسبب الاحتلال الألماني. وحين انتهت الحرب قررت «ماريا» أن تنهي القصة، لتعود «فرانسين» ويعود إليها «ألبير» وتتوقف الرسائل.

ثم بعد فراق دام أربع سنوات، التقى ألبير بماريا في مصادفة ثانية في نفس تاريخ لقائهما الأول ليعودا مجددا حبيبيْن محبين للمسرح والسينما، وللبحر والرقص على موسيقى الجاز. وتدوم علاقتهما السرية المستحيلة حتى مماته.

لم يتوقف «ألبير» عن الكتابة لـ «ماريا»؛ فبين نص وآخر، وفكرة وأخرى، بين الشمس والمطر، يكتب لها مثلما يكتب العشاق المتلهفون. كانت رسائله تتدفق عبر العالم، من الجزائر وبلجيكا، ومن السويد والبرازيل، ومن كل مكان زاره كي يخبرها في كل حين أنها لا تغادر تفكيره.

قمت بترجمة عدد من هذه الرسائل عن الفرنسية لغتها الأصلية، التي بذلت «بياتريس فيان - *Béatrice Vaillant*» جهودا في تجميعها وترتيبها زمنيا ذلك أن عددا كبيرا لم يكن يحمل التاريخ كاملا. وقد صدرت في أكتوبر 2017 عن دار غاليمار. نُشرت هذه الرسائل مسبوقة بتوطئة كتبتها «كاترين كامو» ابنة «ألبير كامو» قامت فيها بشكر «ماريا كازاريس» ووالدها لأنهما جعلا العالم مكانا أرحب بحبهما كما أثنت على شغف «بياتريس فايان» وتفانيها. بلغ عدد الرسائل المتبادلة بين «ألبير كامو» و«ماريا كازاراس» 865 رسالة حملت إلينا تفاصيل حميمة وحبا عاصفا محفوفا بالفراق. رسائل نتلمس في حروفها رقة ألبير العاشق وبين أسطرها اندفاعا وشغفا بالحياة والحب لفيلسوف العدم. أما ما قمت بانتقائه من رسائل كي أترجمها بين طيات هذا الكتاب فهي إما متعلقة برحلة ذات أهمية

ل«كامو»، أو أنها تكشف بعض كواليس كتاباته، أو أنها فقط تخبرنا كم كان «ألبير» يحب الطبخ.

المترجم

1

يونيو 1944

الساعة الرابعة بعد الزوال

ماريتي الصغيرة،

كنت أرجو أن نلتقي، لكني مشغول؛ لذلك فخلال ما لدي من وقت وجيز بين موعدين، أكتب لك بعض الكلمات، هي بالطبع بدون معنى، لكنها ستجعلك تفكرين بي عندما تجدينها هذا المساء حال عودتك إلى البيت... كم أنا مرهق، وكم أحتاجك. أفضّل أن أقول هذا بينما أضمك إلى صدري.

ليلة طيبة عزيزتي، نامي كثيرا وفكري بي بقوة. أُقبِّلك في انتظار اللقاء غدا.

أ. ك

2

يونيو 1944

الخميس، الساعة العاشرة مساء

عزيزتي،

قرأت للتو إهداءك، وها أنا ذا وشيء بداخلي يرتعش. لطالما قلت لنفسي إن المرء قد يكتب مثل هذه الأشياء مأخوذا بالحركة، يكتبها دون أن يكون متشبعا بها. لكني أيضا أقول لنفسي إن بعض الكلمات لا يمكن أن تكتبيها دون أن تكوني قد أحسستِ به حقا.

كم أنا سعيد «ماريا». هل يعقل هذا؟ هذا الشيء الذي يرتجف داخلي، إنه نوع من الفرحة المجنونة. غير أن المرارة تتملكني بسبب رحيلك، وبسبب الحزن الذي سأراه في عينيك لحظة مغادرتك. لطالما كان إحساسي تجاهك مزيجا من السعادة والحيرة، لكن إن كنت تحبينني كما تكتبين، فلا بد أن يكون بيننا أكثر من هذا. آن الأوان كي نحب، ولابد أن نرغب في ذلك بقوة تكفي لكي نتجاوز كل المصاعب.

لم أستسغ (أحب) نظرتك الخاوية هذا المساء؛ فحين نمتلك روحا نسمّي إحباطنا شفافية، ونطلق كلمة حقيقة على ما يناسبنا. لكن هذه الشفافية عمياء، هي على العكس من البصيرة التي تبغي السعادة.

و[لعمري]، أعلم أن هذه الفرحة، على قصرها وهشاشتها ورغم كل ما يهددها، فإنها ستكون من نصيبنا إن نحن مددنا أيدينا لها؛ لكن علينا أولا أن نمد أيدينا.

أنتظر الغد، أنتظرك، أنتظر وجهك العزيز. أشعر هذا المساء بالتعب، وأعجز عن إخبارك عن قلبي الفائض بسببك. لدينا هذا الشيء بيننا الذي لا يملكه سوانا؛ هذا الشيء الذي يجعلني ألتقيك دون مشقة. لدينا هذه الساعات التي أصمت فيها وتشكين فيّ، لكن ذلك مهم؛ فقلبي مليء بك.

إلى اللقاء عزيزتي، شكرا لكلماتك التي بعثت فيّ سعادة غامرة. شكرا لروحك التي تحبني وأحبها. أقبلك بكل ما أوتيت من قوة.

أ. ك

3

يونيو 1944

الساعة الرابعة بعد الزوال

ماريا الصغيرة،

لا أعلم إن كنت تفكرين في الاتصال بي. لا أعلم أين أنت في هذه اللحظة، ولا كيف أصل إليك. لا أملك شيئا بعينه كي أقوله لك، ليس لدي سوى هذه الموجة التي ترفعني منذ الأمس، وهذه الحاجة الملحة في الثقة وفي الحب الذي أكنه لك.

ذلك أنني لم أكتب لك منذ فترة.

إن وجدت هذه الرسالة عند عودتك مساء، اتصلي بي. لا تنسيني في هذه الأيام التي تفصلنا عن يوم السبت. فكري بي خلالها. أخبري نفسك أنني بقربك دائما، في كل دقيقة تمرّ.

إلى اللقاء حبيبتي، إلى اللقاء يا حبي العزيز. أقبلك كما قبلتك بالأمس.

ألبير

4

يوليو (1944)

السبت، الساعة الثانية بعد الزوال

لقد كانت رحلتي طيبة[1] ولم يطرأ شيء ذو بال. انطلقنا على الساعة السابعة وعشرين دقيقة صباحا، و سار بنا القطار مدة تسع ساعات. ثم سرنا على الأقدام لسبعة كيلومترات كي نتجاوز محطة فرْز ما. لقد قصفوا المحطة ليلة البارحة حوالي الساعة الحادية عشرة، وإثر ذلك أخذنا القطار مجددا حتى حلول منتصف النهار. انتظرنا قطارا آخر لمدة ساعتين في «مو – Meaux»، ثم أخيرا وصلنا في الساعة الخامسة بعد الزوال. كنت متعبا جدا ككلب أسود، لكني كنت سعيدا لأنني تركت هذا الطريق [الشاق ورائي]. أما المنزل[2] الذي سأمكث فيه، فقد كان جزء منه محطما جراء القصف سنة 1940. صحيح أنه قابل للسكن، لكنه مغمور بالغبار، حتى إن تنظيفه تطلّب مني ثمان وأربعين ساعة، والاستعانة بسيدة طيبة من

(1) . غادر «ألبير كامو» باريس لشعوره بخطر داهم يحدق بحياته؛ بسبب ما كان يقوم به في جريدة "كفاح - Combat".

(2) . ذهب "كامو" للاختباء في بيت صديقه الفيلسوف "بريس باران" في "فيردلو"، الذي يعمل في هيئة التحرير في دار غاليمار. وخلال هذه الفترة، كان "ألبير " يوقع رسائله باسم مستعار هو "ميشيل".

الأرجاء.

حسنا، نمرّ الآن لوصف المكان.

في القرية منخفضان اثنان تكسوهما الأشجار والمزروعات. الطقس هنا منعش، صوت ماء قريب، رائحة عشب، بعض الأبقار. بعض الأطفال هنا وهناك، وعصافير تغرد. بالأعلى قليلا يوجد ذاك التل المنبسط المفتوح حيث يصبح التنفس أفضل. تتكون القرية بالأساس من بعض المنازل، وبعض الناس الطيبين. أما بالنسبة إلى البيت فهو متوارٍ داخل حديقة كبيرة غاصة بالأشجار وبآخر ورود هذه السنة (الورود ليست حمراء). يقع البيت تحت ظل كنيسة قديمة. أما الجزء الأمامي من الحديقة فهو حقل مشمس تحت أقواس الكنيسة. بالإمكان أخذ حمام شمس هناك.

أقوم الآن بتجهيز غرفة ومكتب في الطابق الأول. عندما أفرغ من ذلك سأكتب كي أصفهما لك. أظن أن «ميشيل» (غاليمار) بإمكانه أن ينام معي في نفس الغرفة. بالنسبة إلى «بيير» و«جانين» (غاليمار) فحتى سيجدان مكانا آخر كي يناما فيه. أنتظر وصولهما بفارغ الصبر حتى نحسم في هذه التفاصيل، وأنتظرهما بالأخص على أمل أن ينقلا لي أخبارك.

أكتب لك بكل ما يمكنني من وضوح؛ لأنني أظن أنك مبدئيا ترغبين في بعض التفاصيل الدقيقة. أما أنا ففكري يذهب في اتجاه آخر، فمنذ مساء يوم الخميس أحيا بك. يتراءى لي أني لم أغادرك كما ينبغي، وأن هذا الرحيل جاء وسط الكثير من الحيرة تحت سماء تحف بالمخاطر، رحيل يصعب عليّ تحمله. كُلِّي أمل بقدومك، فإن تمكنتِ من ذلك بالسيارة فسيكون الأمر أسهل، وإن لم

يكن ذلك متاحا فسيلزمك أن تقومي بنفس الرحلة الطويلة التي قمت بها. توجد الدراجة أيضا، أستطيع أن أستعملها كي آتي للقائك. لا تنسي وعدك لي أيتها العزيزة، فأنا أعيش به.

أظن أني سأجد بعض السلام هنا. ريح وبعض الأشجار ونهر، سأصنع بها كلها هدوءا يملؤني من الداخل، هدوءا كنت قد فقدته منذ زمن، لكن ذلك يصبح مستحيلا عندما يتحتم عليّ تحمل غيابك، والركض خلف طيف صورتك وذكراك. لا أنوي أن أصبح يائسا أو أن أترك هذه الحالة تتمكن مني، سأشرع يوم الإثنين في العمل، وسأعمل حتما، هذا مؤكد. لكن كم أرغب في أن تساعديني بمجيئك.

إلى حدود هذه اللحظة، كل ما حدث بيننا هو أننا التقينا وأحببنا بعضنا بحمى الشوق والغليان، وهو أمر لا أندم عليه، حتى إن كل ما عشته من أيام معك كفيل بأن يبرر الحياة [كُلّها]. لكن توجد طريقة أخرى للحب، أن نحب بعمق أكثر سرية وأكثر تناغما؛ وأعلم أننا قادرين على ذلك أيضا. هنا، في هذا المكان، سنجد الوقت لذلك. لا تنسي ذلك صغيرتي، واحرصي أن نمنح حبنا هذه الفرصة.

بعد بضع دقائق ستقفين على الركح. سيكون كل تفكيري معك اليوم وغدا. سأنتظر تلك اللحظة التي ستجلسين فيها كي تقولي لقد كان كل شيء مذهلا. سأنتظر المشهد الثالث حيث تلك الصرخة التي أحب. آه حبيبتي، كم يصعب عليّ أن أكون بعيدا عنك، أن أكون محروما من وجهك الذي ليس لدي ما هو أغلى منه.

اكتبي لي كثيرا ودائما... لا تتركيني وحيدا. سأنتظرك كل الوقت

اللازم، لدي صبر لا ينضب فيها يتعلق بك، بَيْد أن عروقي تنبض بلهفة تؤلمني، برغبة قادرة على إضرام النار في كل شيء، قادرة على التهام كل شيء.

إلى اللقاء أيتها الانتصار[3] الصغير، ابقي بقربي داخل أفكارك. وأرجوك تعاليْ سريعا. أقبِّلك بكل ما أوتيت من شغف.

بإمكانك أن تكتبي لي على عنوان السيدة «باران»، في «فيرديلو»، «سان إيهارن».

ميشيل

(3) Victoire (أي انتصار)، وهو اسم الشخصية التي تؤدي "ماريا" دورها.

5

(السابع من يوليو 1944)

الجمعة، الساعة الحادية عشرة مساء

أرغب في هذا المساء بشدة في أن أرتمي بين أحضانك. قلبي مثقل بالهموم والحياة يصعب عيشها. كتبتُ قليلا هذا الصباح، ومنذ الظهيرة لم أخط حرفا. الأمر كما لو أني فقدت قدرتي، ونسيت ما يجدر بي القيام به. تحلّ بي أحيانا هذه الساعات، وهذه الأيام، وهذه الأسابيع حيث أشعر أنني بكل ما فيَّ أموت بين ذراعيّ. أنت أيضا تعرفين هذا الإحساس.

إن هذه الساعات التي تتملكني فيها الرغبة في ترك كل شيء هي الساعات الأخطر على الإطلاق. إنها الساعات التي تجتاحني خلالها رغبة في الهروب من أي شيء قادر على مساعدتي... وها أنا ذا ألجأ إليك، أنت. لو أنك كنت هنا لكان كل شيء أسهل. لكن هذا المساء، يتملكني اليقين بعدم قدومك. أشعر أني فقدت كل شيء منذ زمن. عندما تبتعدين عني أجدني محاطا بالليل. وفي الانتظار، ليس لدي أمل في لقائك قريبا.

هذا المساء أتساءل عما تفعلين، أين أنت؟ ماذا تتخيلين؟ أريد أن

أمتلك يقين أنك تفكرين بي وأنك تحبينني. [بالفعل] أمتلك هذا اليقين من حين لآخر، ولكن أي حب هو ذاك الذي نستطيع أن نثق به على الدوام؟ بإمكان تصرف صغير أن يجعل كل شيء ينهار، على الأقل، للحظة من الزمن. فلو ابتسم لك شخص أو جعلك سعيدة، حينها سيختفي الحب من قلبي. ولكن ماذا بيدي سوى التفهم. من أنا في الأصل كي أطلب منك كل هذا؟ عليم أنا بكل أنواع الضعف. وحتى أن القلب المتماسك بإمكانه أن يأتي عليه زمن ويضعف؛ لذلك أتفهم هذا الغياب وهذا الفراق الغبي الذي يجعلني أغذي بالخيال والذكريات حبا يسري تحت الجلد.

حريٌّ بي أن أكون مسكونا بما أكتب، ممتلئا بهذه الرواية وشخصياتها، لكنني أجد نفسي أشاهدها من الخارج، أكتب مشوش الذهن، مستعينا بفطرتي، دون أن أتمتع بلحظة واحدة من الشغف أو العنف الذي اعتدت أن أضعه فيما أحبّ.

سأتوقف فورا عن القيام بهذا، فأنا أشعر أن هذه الرسالة تتحول إلى رسالة عتاب. حتما لدينا، أنا وأنت، الكثير للقيام به عدا تبادل اللوم. ربما حين يجف القلب يكون لزاما علينا أن نصمت فقط. اعلمي أنك الشخص الوحيد الذي أرغب في أن أكتب له أشياء مماثلة، إلا أن ذلك ليس حجة كافية كي أفعل. ولكن أيضا ليس ذلك سيئا جدا. لقد أحببتِ فيّ أفضل ما أنا عليه إلى حدود هذه اللحظة. ربما لا يعدّ ذلك حبا بعد، وربما لن يعدّ ذلك حبا حتى تحبّي ضعفي ومساوئي. كم سيستغرق ذلك؟ إنه لمن الرائع ومن المرعب، أن يكون علينا أن نحب رغم الخطر وانعدام الثقة، في عالم ضاج، وتاريخ

لا تساوي فيه حياة الإنسان شيئا. لن أنعم بالسلام ما دمت محروما من وجهك. إن لم تأت سأتحلى بالصبر؛ سأتجلّد متألما بقلب يملؤه الجفاف.

الكل نائم الآن، أما أنا فمستيقظ برفقتك، أشعر أني جافّ كصحراء. أوه عزيزتي، متى يعود التدفق والصراخ، أشعر أنني أخرق بكل هذا الحب العاطل الذي يجثم على صدري ويثقله دون أن يمنحني السعادة. كما يبدو لي أني لا أجيد شيئا.

مساء الخير، أيتها البيضاء، أيتها السوداء. حاولي جاهدة أن تبقي قريبة مني، وانسي كل تطلّبي ومزاجي العكر. ليست الحياة على وفاق معي هذه الآونة ولديّ أسباب تمنعني من أن أكون سعيدا. لكن لو كان الله موجودا فعلا، فهو يعلم أنني سأهب كل ما أنا عليه وكل ما أملكه، كي تلمس يدك وجهي. لم أتوقف عن حبك وعن انتظارك حتى وسط الصحراء... تذكريني.

ميشيل[4].

(4) . شعر "كامو" أنه مهدد بسبب عمله في جريدة Combat ، لذلك غادر باريس كي يختبئ، وزيادة في الاحتياط والحرص كان يوقع رسائله باسم "ميشيل" المستعار.

6

(8 يوليو 1944)

السبت، التاسعة صباحا

أعيد هذا الصباح قراءة هذه الرسالة، وأتردد في إرسالها رغم أني أفترض أنها تشبهني؛ ففي نهاية الأمر نحن مجبرون على أن نكون ما نحن عليه.

هذا الصباح ليس سيئا ولا جيدا، سنذهب بعد قليل في نزهة لبقية اليوم، وعليّ أن أقرر فورا إن كنت سأرسل هذه الرسالة إن أنا أردتك أن تتسلميها يوم الإثنين.

السماء مغطاة بالسحب والجو قاتم. إلى اللقاء قريبا أيتها الانتصار الصغير. فكري بي كثيرا، وأحبيني بقوة وبعنف مثلما أحبك.

م.

7

(11 يوليو 1944)

الإثنين

حبيبتي الصغيرة «ماريا»،

لقد تلقيت رسالتك التي لطالما انتظرتها، جالبة إلى قلبي السعادة، كيف لا وهي تأتيني منك وتعلمني أنك حقا موجودة، وأن شيئا ما حدث بيننا ذات زمن بعيد؛ زمن كنت أهتم فيه بمسرحية وأنت كنت تمثلين فيها. لكني كنت أنتظر أيضا أن تقولي لي إنك قادمة؛ وهو مالم يحدث... عندما تصلك هذه الرسالة ستكونين قد قابلت «بيير» (غاليمار) الذي بعثته إليك ليحضرك إلى هنا، غير أنني أفترض الآن أنك لن تستطيعي القدوم. لا يهمّ، سأمنّي نفسي بقدومك يوم الخميس.

ليتك تعلمين مدى انتظاري وشوقي ونوبات البرد والحرارة التي تنتابني، وكل هذا الزخم تجاهك. أنتِ لا تتجاهلين شيئا من كل هذا، كما أنك تعرفينني بما يكفي لتتخيلي ما لا تعرفينه عني. حاولي أن تتصوري ما تفعلينه بي كلما قررت تأجيل قدومك، ربما قد تؤثر هذه الفكرة في قرارك.

أرجو ألا تكون والدتك مريضة جدا، أبلغيها بتمنياتي لها

بالشفاء؛ إذ لا بدّ أنها تعلم أنني أراسلك. وأخبريها أني أُكِن لها مشاعر المحبة والاحترام، وأني لا أجد العبارات لأقول هذا بطريقة ملائمة. لا أريد أن أتسبب في تمزق العلاقة بينكما... أطلعيني على تفاصيل دقيقة من حياتك، خبّريني بما تفعلين، واعلمي أن مخيلتي الغيورة تصير خصبة عندما تكونين بعيدة عني. زد على ذلك أن الأسئلة قد تجوب قلبا عاشقا على غرار: هل أنت في «مودون»؟ مع من؟ أين ستمكثين؟ ماذا فعلت يوم السبت على الساعة السادسة مساء: في شارع البراي؟ في مفترق الطرق البعيد عن حيّك؟ هل ترين حبيبتي الصغيرة ماري ما قد يخطر ببال رجل متفرغ لا يملك شيئا يعلق عليه شغفه؟ حاولي أن ترضي رغباتي، وامنحيني بعض التفاصيل. كل ما يتعلق بك يهمني (أنت لم ترسلي لي بعد النقد الذي وعدتني به). أنتظرك، كما ترين، أنتظرك طوال اليوم ولم أعد أجد طريقة كي أَبُثَّك هذا أو كي أصيح به.

يؤسفني أن الأمور لا تسير على ما يرام مع «مارسيل» (هاران)، ربما هي فترة عصيبة وستمرّ. «مارسيل» شخص مخيِّب للآمال، لكنه جذاب، ربما سيفهم ويقوم بما يجدر القيام به حتى تحسي بالراحة معه مجددا... أطلعيني على المستجدات.

أما عن الأجواء هنا، لا أعلم حقا بماذا أخبرك... حسنا، كان يجدر بـ «جَانين» و«ميشيل» (غاليمار) أن يُحدِّثاك. في هذه الأثناء نجلس ثلاثتنا ونصغي لبعضنا البعض. أطبخ (أحب القيام بذلك جدا)، أكتب قليلا، أنام، أتجول. صحتي جيدة، لكنني أفترض أنه أمر طبيعي شبيه بأن تكون صحة الأبقار جيدة مثلا؛ ولست فخورا بذلك.

قصصت شعري وجعلته قصيرا للغاية، يرعبني ذلك [في الحقيقة]، فهو يجعلني أبدو أصغر بخمس سنوات.. ستكرهينني بهذه التّسريحة لأنك تحبين الشعر الطويل.

إلى اللقاء حبيبتي الغالية.. هل بالإمكان أن أقول قريبا؟ سأنتظر الخميس بكلّ ما في قلبي من هيام، وأخشى أن أفعل ذلك سدى. لا تنسي ما تجعليني أحس به، ودعيني أقبلك بكل ما أحمله لك من رغبة وحب.

ميشيل

8

(20 يوليو 1944)

الخميس

أخيرا يصلني صوتك هذا الصباح. يعلم الله كم أحبه وكم انتظرت سماعه. لكن الكلمات.. لم تكن تلك التي أردت من أعماق قلبي أن أسمعها. صوتك يتردد دون انقطاع، بكل نبراته، حتى بنبرة اقتناعي أنه يجب أن أظل بعيدا عنك. أما أنا فغير قادر على الكلام، جف ينبوع الحب على ضفاف شفتي، وما عدت قادرا على قوله.

9

(21 يوليو 1944)

الجمعة، الساعة الخامسة مساء

لقد وردتني رسالتك للتو. ستجدين بدورك رسالتي... لن يفهمك أحد كما أفهمك. لن يجعل أحد من فكرة فقدانك أو من فكرة التخلي عن حياتنا المهددة أو المحدودة فكرة مثيرة. أمضيت حياتي كلها في رفض التخلي والانسحاب، أمضيتها في اختيار كل ما هو ضروري لي كي أظل صامدا. لو أنني انصعت للدافع الذي جعلك تكتبين لي، لكنت غادرت هذه الأرض التي لم تهبني شيئا دون أن أشقى أو أضحّي، لكن ها أنا ذا لم أغادر. ولن يتغير ذلك الآن وأنت معي، وقلبي تملؤه الرقة ويموج بالشغف.

أعلم جيدا أن بعض الكلمات لا يكفي مجرد نطقها، وأنا لن أنطقها؛ لأنني قطعت وعدا، ولأنه توجد هذه الالتزامات التي لا نستطيع التخلي عنها حتى وإن كانت خالية من الحبّ. سيكون من الجبن أن أتفوه بهذا الكلمات كي أخذل الشخص الذي لا يملك فرصة الدفاع عن نفسه. أعلم أنك لا تطلبين ذلك، فروحك أكثر كرما من أي شخص التقيته في حياتي، أما أنا فيجدر أن أتحدث عن

ذلك؛ وها قد فعلت.

المشكلة هي ذاتها، ورغم ذلك لا أرى أنه علينا أن نتخلى عما بيننا. لا أعتقد أن نهاية الحرب تعني أنه علينا نحن أيضا أن ننتهي. أعيد ما قلته سابقا: لم أعرف في حياتي سوى المحدود والمحفوف بالمخاطر. لا أهتم بشيء سوى الإبداع، والإنسان... والحب. وبخصوص هذه الأشياء الوحيدة التي أعترف بها، فقد قمت على الدوام بكل ما يلزم كي أستنزفها كلها إلى آخر رمق فيها. يعتقد البعض أننا حين لا نمتلك شيئا فذلك أفضل من أن نمتلك شيئا غير مثالي، أما بالنسبة إليّ فأنا لا أؤمن بالمشاعر المثالية، ولا بالحياة المطلقة.

على الحبيبيْن أن يفوزا بحبهما وأن يكسباه، أن يبنيا حياتيْهما وشعورهما، ليس فقط ضد الظروف، بل ضد كل ما بإمكانه أن يضايقهما، وأن يحدّهما، وأن ينقص منهما. ليس على الحب يا ماريا أن يُخضع العالم، بل عليه أن يُخضع ذواتنا. وأنت تعلمين يا صاحبة القلب البهيّ أننا، نحن، ألدّ أعدائنا.

لا أريدك أن تهجريني وأن تغوصي في الرفض الواهم. أريدك أن تظلي معي، أريد أن نقضي هذا الوقت [مستمتعين] معا بحبنا، وأن نحاول جعله قويا، وأن نحرره أخيرا في ظل ولاء أحدنا للآخر. أقسم لك أنه الشيء الوحيد النبيل، وأنه الشيء الوحيد الذي يرتقي إلى مرتبة شعوري الذي لا يتبدل تجاهك. لا أجيد الشكوى، لكنني أفكر فقط في البهجة التي اعترتني بالأمس مساء وأنا معك، وفي الحزن الذي يتملكني منذ ساعة.

ماذا سنفعل الآن إذن؟ أنا الذي تمكنت من الحب في هذا العالم

الممزق والمتهتك. أقسم لك أنني لن أتخلى عن حبنا، وأن رغبتي هذه جازمة؛ هذا كل ما أريد قوله. أما أنت فافعلي ما يحلو لك. لن أنساك أبدا. صورتك لدي لا يمكنها إلا أن ترافقني أينما ذهبت. ومهما حدث، إن أنت تركتني، فلن ينفك الأسف عن رفقتي، آسف لأنك لم تقومي بما يكفي حتى تُوهَب هذه الصورة جسدا. أما أنا فيصعب عليّ أن أجد القيمة خارج الجسد والحاضر.

أنتظرك منذ الآن، وسأنتظر طويلا حتى يصبح للحياة وللحب معنى لكلينا أنا وأنت. ولكن، إن أنت أحببتني بروحك، فيجب أن تفهمي أن الانتظار والوحدة ليسا بالنسبة إليّ سوى فقدان أمل.

أ. ك

10

(سبتمبر 1944)[5]

الساعة السادسة مساء

بينما أنتظرك، ها أنا أكتب لك لأني بحاجة إلى أن أقاوم هذا القلق بداخلي، قلق بسبب تأخرك، وقلق بسبب رحيلي. تسألينني هل أهجرك؟

مرت ثلاثة أشهر فحسب منذ ضممتك بين يدي للمرة الأولى. أن أهجرك دون أمل لقائك، وأن أعلم أن حياتك تسير بطريقة لا تسمح لي بالانضمام إليك... مجرد التفكير في ذلك يؤلمني ويجعل كل شيء يتلاشى، ما عدا الألم.

لِمَ تتأخرين هكذا؟ كل دقيقة تمرّ هي دقيقة مسلوبة من حفنة الدقائق التي تبقّت لنا. صحيح أنك لا تعلمين بعد، لكنني أعلم، وعاجز أمام ذلك. يجب أن أغادر. خلال كل هذا، لن تكون في ذهني أي فكرة سواك؛ صغيرتي «ماريا»... إنها أنت.. لكن..

(5) . عاد ألبير كامو إلى باريس في 15 أغسطس 1944 وبدأ مغامرته الصحفية مع صديقه "باسكال بيا" في جريدة Combat التي صدر عددها الأول الرسمي في 21 غشت.

11

(سبتمبر 1944)

الخميس

حل منتصف الليل وأنت لا تتصلين. بقيت منتظرا حتى هذه اللحظة، رفعت سماعة الهاتف ثلاث مرات كي أتصل بك، إلا أنني بمجرد أن أفكر في أنك قد تكونين متعبة أو نائمة، أو أنك تريدين فقط أن تُتْرَكي بمفردك تشلّ حركتي. أمضيت طيلة اليوم أنتظر كلمة منك، ولكن لا شيء.. يبدو لي أن العالم بأسره صار أخرس.

وها أنا الآن أفكر في الغد.. هذا اليوم الطويل القاحل الخالي منك، حتى إني لا أملك الجرأة للتفكير في ذلك منذ الآن. لماذا أكتب لك؟ أي شيء ستضيفه هذه الكتابة؟ لا شيء... في الحقيقة أنت الآن تمتلكين حياة تقصيني، وترفضني، وتنكرني بأسري. أما مكانتك لدي فهي نفسها حتى وأنا منشغل بالقيام بنشاطاتي؛ وها أنا اليوم بلا مكانة في حياتك. هذا ما شعرت به منذ أيام في المسرح. هذا ما أفهمه من هذه الأيام التي تمرّ وتظلّين فيها صامتة. أوه، كم أكره مهنتك، كم أمقت فنّك. لو كان بمقدوري لاقتلعتك من هناك وأخذتك بعيدا بينما أضمّك إلى صدري؛ لكنني بالطبع لن أستطيع ذلك. بضعة أشهر

من التمثيل ثم ستنسينني، أما أنا فلا أستطيع اقتراف ذلك. سيتحتم عليّ أن أواصل حبك بقلب معذب، أنا الذي لطالما أردت أن أحبك داخل دائرة السعادة والانشراح. سأتوقف صغيرتي، فهذه الرسالة بلا جدوى، أعرف ذلك جيدا، لكنها إن دفعتك إلى كتابة كلمة ما، إن جاءتني بصوتك لثوان، فسأكون حزينا بطريقة أقل غباء من هذا الغباء الكامل الذي يتملكني منذ ساعات وأنا أقف أمام هاتف صامت.

هل مازال مسموحا لي أن أقبّلك مقنعا نفسي أنك تريدين ذلك؟

ألبير.

12

(سبتمبر 1944)

الساعة الواحدة بعد منتصف الليل

أغلقت السماعة في وجهك منذ قليل لأني اختنقت بالدموع. لا أصدق أني بهذا العنف. لن تجدي قلبا مليئا بالرقة وباليأس مثل قلبي. ألتفت وأجوس ببصري ولا شيء سوى الليل؛ معك أو بدونك، لقد ضاع كل شيء، وبدونك سأفقد قوّتي. أعتقد أني أريد أن أموت. لا أملك القوة الكافية لمحاربة أي شيء أو حتى محاربة نفسي؛ وهو كل ما قمت به منذ أن كنت إنسانا. لدي القوة فقط كي أنام، أن أنام وأدير رأسي صوب الحائط وأنتظر. أما بالنسبة إلى مقاومة مرضي وأن أصبح أقوى من حياتي نفسها، فلا أدري متى ستكون لدي القدرة على القيام بذلك.

رغم كل ذلك، لا تزعجي نفسك. أفترض أن كل شيء سيأخذ مجراه في النهاية. لدي رسالتك ولدي كل شيء سواها؛ هذه التوقعات تجاهك، وهذه الرغبة في أن أراك سعيدة تملأ رأسي. الوداع حبيبتي. لا تنسي هذا الذي أحبك أكثر من حياته، ولا تكوني غاضبة مني.

ألبير.

13

(باريس في أكتوبر 1944)

الساعة الواحدة والنصف بعد الزوال

ستصلين بعد قليل، وسأحدثك بكل ما أمكنني من برود وهدوء، وبعد ذلك سينتهي كل شيء. إلا أني لا أريد أن نفترق بعد تبادل نظرات فقيرة، نظرات نحاول أن نملأها، سدى، بكل ما نريد.

قضيت ليلتي مفكرا إن كنتِ حقا قد أحببتني، أو إن كان كل ما حدث هو بعضٌ من مظاهر الحب التي انطلت عليك أيضا. لكني، في نهاية المطاف، لن أطرح هذه الأسئلة بعد الآن. أريد أن أحدثك عني وعنك. سأحاول أن أسعد «فرانسين». أشعر، بينما أخرج من هذه الحكاية، أني ضئيل على مستويات عدة؛ فجسديا أنا مدمَّر أكثر مما يبدو، ومعنويا لا أشعر أني شيء سوى قلب جاف، ومنقبض، ومحروم من الرغبات. لا أرغب في شيء، فقد مررت بالكثير كي أتقبل هذا الزهد.

سيبقى حبي وفيا لك.

تتمثل رغبتي الحقيقية والأكثر بدائية في ألا يلمسك أي رجل. أعلم أن هذا ليس ممكنا، لذلك فَجُلُّ ما أتمناه هو ألا تهدري هذا الكنز

الثمين، أنتِ، إلا على شخص يستحقك فعلا. وأرجو أن أشغل كل هذه المكانة التي أرغب بكل ما أوتيت من غيرة في أن أحتفظ بها لنفسي. أريدك أن تحتفظي لي في قلبك بمكانة خاصة، مكانة تنتابني أحيانا فكرة أني أستحقها؛ هذا هو أملي الضعيف الذي لم يتبق لي سواه.

يائس أنا. قضيت صباحي محموما، مصابا بجزع يابس من فكرة أن كل شيء انتهى، انتهى حقا مع اقتراب الشتاء بعد الربيع والصيف اللذين أحرقاني. أوه «ماريا» عزيزتي، أنتِ الشخص الوحيد الذي يبكيني. أشياء كثيرة تفقد طعمها بدونك. كل سعادة قادمة في الحياة ستبدو باهتة أمام السعادة التي اعتدتِ أن تقدميها لي.

سأحاول أن أغادر باريس، وأن أبتعد ما أمكنني ذلك؛ فأشخاص عدة، وشوارع مديدة لن يكون بمقدوري رؤيتها بدونك. تذكري دائما أنه، ومهما حدث، يوجد هذا الشخص الذي بإمكانك دائما اللجوء إليه. لقد وهبتك ذات يوم كامل نفسي وكل ما أملك، فاحتفظي بذلك إلى أن أغادر هذا العالم الغريب الذي بدأ يتعبني. أملي الوحيد هو أن تعرفي إلى أيّ حدّ أحببتك.

وداعا أيتها العزيزة، أيتها الحبيبة. ترتجف يدي بينما أكتب لك هذا. اهتمي بنفسك، وابقيْ سالمة. لا تنسيْ أن تظلي عظيمة. لا أملك قلبا قادرا على التفكير في الزمن القادم بدونك، لكني عرفتك ممثلة عظيمة مساوية لذاتك، سعيدة بطريقتك. وأنا على يقين أني سأكون سعيدا لسعادتك. أتمنى أن لا أكون قد حططت من قدرك، وأن لا يكون هذا العشق الحزين قد أساء إليك. إنها مواساة مزيفة، لكنها كل

ما أملك الآن.

وداعا مجددا، عزيزتي، أدعو أن يحميك حبي. أقبّلك، أقبلك لسنوات قادمة بدونك، وأقبل وجهك بكل ألم، وبكل قلبي المائد بهذا الحب الرهيب.

14

21 نوفمبر (1944)

عيد ميلاد سعيد حبيبتي. أريد أن أرسل إليك كل بهجتي دفعة واحدة، لكني لا أستطيع. تركتك البارحة وقلبي يتمزق، وانتظرت طيلة فترتي منتصف النهار وبعد الزوال أن تتصلي بي. بحلول المساء، فهمت بصورة أوضح أني لا أملكك. وتوجد بداخلي الآن هذه الغصة التي تمنعني من الكلام.

أريد أن أقول لك كل هذا في خِضم تعبك. أعلم أن ذلك ليس خطأك، لكن ماذا سنفعل؟ ماذا أفعل بكل هذا الألم الذي يعتريني عندما أحصي الأشياء التي تبعدك عني. لقد أخبرتك بذلك مسبقا، أريدك أن تحيي فوق جسدي دون هدنة؛ وأعلم كم أن ذلك عبثي.

لا تشغلي بالك بي، سأتدبر أمري. كوني سعيدة هذا المساء. لا نبلغ سنتنا الثانية والعشرين كل يوم ولا كل سنة. أقول لك هذا أنا الذي أشعر أني طاعن في السن منذ فترة.

لم أخبرك حتى الآن كم أحببتك في «بروفنسال»؛ لقد كنت مهيبة، وراقية، وملتهبة.

نعم، بإمكانك أن تكوني سعيدة فأنت ممثلة عظيمة، عظيمة حقا. وكل ما يعذّبني في هذه اللحظة هو ما كنت أستمتع به رفقتك.

ألبير.

15

15 يناير (1946)

الثلاثاء

صغيرتي «ماريا»،

تلقيت الخبر الحزين من «أوتلي» إثر عودتي من السفر، ولم أستطع منع نفسي من الكتابة لك والتعبير عن مدى حرقتي وحزني. ربما يحق لك أن تحرميني مشاركتك أوقات سعادتك، لكن أظن أني سأحتفظ بحقي في أن أكون إلى جانبك في أوقات الحزن والألم... ولو من بعيد. أقدِّر كم أن حزنك كبير الآن، وأعلم أن أية مواساة، ربما، غير كافية.

أكن لوالدتك نوعا من الإعجاب والاحترام الممزوج بالمشاعر التي بالإمكان الإحساس بها تجاه الأشخاص الذين هم على درجة من الرفعة؛ هؤلاء الذين وُجدوا كي ينعموا بالحياة. ما حدث يبدو لي غير عادل، يبدو لي مريعا.

لا شيء بإمكانه أن يأخذ مكان الحب الذي كان بينكما. بعض من احترامي لك يأتي مما أعرفه عن هذا الحب، وأشعر بالأسف وأنا أتصورك ممزقة بسبب ما يحدث. نعم، قلبي معك منذ أقصى لحظة أتذكرها، والآن على وجه الخصوص. أرسل إليك أفضل ما فيّ كي يقبلك بكلّ ما يعتريني من حزن.

16

(26 يوليو 1948)

الثلاثاء مساء

وصلت مساء الأمس، إثر يومين مرهقين من السفر لم أتمكن خلالهما من النوم. لم أنم بالأمس أيضا. الطقس حار بالليل ويوجد من النجوم والصراصير ما يبعد عني النعاس. على الأقل أكتب لك. أظن أني أرسلت لك بعض الرسائل الغبية وأنا على الطريق، لكني كنت في حالة غريبة. كان دوران العجلات الذي يبعدني عنك يحزنني، لكني أيضا كنت أتوقد ببهجة عارمة كأن المستحيل تحقق. ثم أدركت هذا الصباح أن شهرا ونصف الشهر ومئات الكيلومترات تبعدني عنك. لذلك يصعب عليّ أن أتغلب على يأسي، ثم فكرت «سأكتب لها كثيرا»...

قمت بجولة صغيرة منذ قليل، في المساء، عبر تلّة صغيرة مغطاة بأشجار اللوز، وكان الجو ناعما جميلا وفائضا، ثم تملكتني رغبة متقدة في أن أشاركك هذا البلد الذي أحب، رغبة عارمة تستحيل كتابتها، لكن يجب أن أحاول رغم ذلك وسأفعل. ربما عندما أرتاح قليلا وتتضح الرؤية.

في اللحظة الراهنة، لا أملك سوى قلبي الذي يمتلئ بعذوبة غريبة، بينما أتذكر لحظات أمضيتها رفقة حضورك الطاغي وأنت ممسكة بذراعي بينما كنا نتمشى في الريف، رفقة صوتك والعواصف.

راسليني، أبقيني في ذهنك. لا أعرف شيئا خارجك، ولا أستطيع شيئا سواك... لا شيء... فلنبق متراصّيْن معا كما كنا، ولندع الله أن لا ينتهي هذا العناق. أو فلنفعل كل ما يجب كي نظل هكذا؛ فهذا أكثر ضمانا.

إلى اللقاء عزيزتي، صغيرتي ماري، إلى اللقاء، ليلا، أقبلك كما أشتهي.

أ. ك

17

(31 يوليو 1948)

السبت

مرت ستة أيام منذ أن جئت هذا المكان، ولم أتعود بعد على غيابك. أشعر أنني عشت على صدرك أسابيع مدوّخة ثم خُطفت من أحضانك دفعة واحدة، لِيتم إلقائي في الطرف الآخر من فرنسا. أشعر باضطراب لدرجة أني أفتقد الشفافية اللازمة كي أرى كم أن كل شيء غبي. مكاني حتما ليس هنا، هذا كل ما أنا على يقين منه.

أن أكون في مكاني الصحيح، يعني أن أكون قريبا ممن أحب، وكل ما عدا ذلك هو نظري وبلا جدوى. بينما كنت أتجول منذ قليل خطر لي كم أنه من الغبي أن أعيش، دونك، أو دون إشارة تصلني منك؛ فنحن إن كنا حبيبين فيجب أن نتحدث، أن ندعم بعضنا، أن نتصرف من أجل بعضنا البعض. هذا ما يعنيه أن نكون مترابطين، ومهما كان ما نقوم به فسنظل مرتبطين للنهاية. اكتبي لي إذن، اكتبي لي كثيرا ومطولا كما تشتهين، ولا تتركيني وحيدا عزيزتي.

لن نكون دائما أقوياء، ولن نكون دائما متعالين على آلامنا مهما ظننا أننا قادرين على ذلك. لكن، في اللحظات التي نشعر فيها بالبؤس، لن يكون هناك سوى الحب كي ينقذنا. إن كنتُ قادرا على الإحساس

بقلبي المتخم بك، من هذا المكان البعيد عنك، فأنا لا أستطيع أن أتخيل قلبك؛ لذلك حدثيني، أطلعيني عما تقومين به، بماذا تشعرين؟ ماذا فعلت في هذا الأسبوع القاسي؟ لا أريد أن أثقل عليك بإصراري على [دفعك] للكتابة لي، لذلك أتردد في طلب ذلك، كما لا أريد أن أجبرك على التفكير في أني أنتظر أن تكتبي لي، إذن لا تكتبي لي إن لم ترغبي في ذلك. في النهاية، لِم عليَّ ألا أثقل عليك، حسنا، اكتبي لي سريعا إذن، من كل قلبك، أطلعيني على تفاصيل حياتك، ساعديني كي أتخيلك، هل اكتسبت بعض السمرة؟ كيف هي تسريحة شعرك؟

منذ أن وصلت إلى هنا وأنا أخوض حربا كي أعبِّر عن نفسي، لكني لا أجد الكلمات. وأعرف كم أن كتاباتي لك رديئة. تتمثل رغبتي الوحيدة في أن أصمت، أن أصمت وأنا بقربك، لساعات، أو أن أستيقظ كي أجدك لا تزالين نائمة، وأُملِّي عينيَّ منك مطولا في انتظار أن تفتحي عينيك. تلك هي سعادتي أيتها الحبيبة، وذلك كل ما أتحرق شوقا إليه.

حتى ذلك الحين، فالأيام تمضي بطيئة. أستيقظ باكرا، أتشمس قليلا، وأكتب طوال فترة الصباح. أتناول الغداء، وبعده أقرأ، ثم أكتب في فترة ما بعد الزوال. أما في المساء فأتجول رفقة «بات»؛ وهو كلب عجوز جعلته صديقا لي، نتجول في التلال الجافة التي تكسوها حلزونات بيضاء صغيرة تحت إضاءة مبهرة، ثم أعود بعد ذلك كي أكتب قليلا، آوي إلى السرير باكرا، ثم أنام، أنام أخيرا.

وبهذا لم تعد سحنتي بشعة. لقد اكتسبت بعض السمرة، وصرت أبدو أكثر شبابا، ولدي حظوظ في أن أعجبك. البيت كبير في قلب

الريف، والقرية تبعد كيلومترين. أشجار جميلة جدا، أشجار سرو، وزياتين، ريف جميل للغاية حتى إنه يخنقني، ذلك أن كل هذا الجمال هنا، يجعلني عاجزا عن التوقف عن التفكير فيك. هل أخبرتك أنه بلد بيترارك[6] ولور. «عندما تأتي، سوف أشبع»، وفي الانتظار، حان دوري كي أجوع وأعطش.

السماء مليئة بالشهب هذه الليلة؛ ولأنك جعلتني أؤمن بالأمور الخارقة، فقد أضمرت الأمنيات التي اختفت بأفول الشهب. أدعو أن تتساقط كالمطر على وجهك الجميل وأنت هناك. لو أنك فقط ترفعين عينيك لعنان السماء هذه الليلة، لكانت خَبَّرَتْك عن النار والصقيع، عن السهام والمخمل، وعن العشق كي تظلي واقفة بلا حراك إلى حين عودتي، نائمة ماعدا قلبك، ثم آتي لأوقظك مرة أخرى.

إلى اللقاء عزيزتي، أنتظر رسالتك، أنتظرك. اهتمي بنفسك، اهتمي بنا.

أ. ك

محافظة باليرم، جزيرة سورغ فوكلوز

---

(6). فرانشيسكو بيترارك (1304-1374)، أصيل مدينة فلورنسا، نُفي إلى فوكلوز على ضفاف السورغ؛ حيث عاش لسنوات مديدة، وقابل ملهتمه "لور" في "أفينيون".

18

24 أغسطس (1948)

تأخر الوقت فتوقفت عن العمل لفرط الرغبة في الكتابة لك. أشياء كثيرة تغلي داخلي أريد أن أتوفق في قولها لك. أتخيلنا أنا وأنت، وأنتِ قبالتي والليل مُنصاع لنا، نتبادل حديثا طويلا. لم أحدثك أبدا عن عملي، أو ربما نادرا ما فعلت. لا أحدّث أحدا عن عملي، لا أحد يعلم ما أنا بصدد القيام به، ورغم ذلك فأنا أملك هذه المشاريع العظيمة الطموحة التي تصيب رأسي بالدوار أحيانا. لا أستطيع أن أحدثك عن أعمالي هنا، [ولكن] سأفعل إن أنت طلبت ذلك. كل ما أستطيع قوله إنني مع هذه المسرحية التي أنا بصدد كتابتها، والمقال الذي سأنهيه لاحقا سأكون قد شارفت على إنهاء عملي؛ وهو ما سيساعدني على فهم مهنتي وتمثُّل ما سيأتي لاحقا.

منذ [رواية] «الغريب»، وقد كانت الأولى في السلسلة، كرست عشرة أعوام حتى أصل إلى هذه النقطة؛ أنا الذي كنت قد خططت أن أفعل ذلك في خمس سنوات، لكن كانت الكلمة للحرب، ثم لوقائع حياتي الشخصية... خلال الأشهر القادمة سأبدأ الاشتغال على مشروع جديد أكثر أهمية مما سبق، مشروع سيتمتع بحريّة أكبر وسيكون مراقبا بشكل أقل. أما إن واصلت العمل بنسقي المعتاد،

فستلزمني حياتان كي أقوم بما يجدر بي إنجازه. (لا تتحمّسي كثيرا، فالأمر ليس مرتبا، بل لدي فقط بعض الخطوط العريضة)

لحسن الحظ أن هذه الانطلاقة الجديدة تتزامن مع لقائنا. لم أكن يوما بهذا القدر من الامتلاء بالحياة والقوة. الفرحة العارمة التي تستولي علي بإمكانها أن ترفع العالم بأسره إلى الأعلى. لعلمكِ، تقومين بمساعدتي بدون أن تكوني على دراية بذلك. كم أحتاج مساعدتك. يجتاحني هذا الشعور بقوة، حتى إنه جعلني أفصح عنه. أما الآن، وبينما أنا واثق من حبك لي، ومن ميلنا لبعضنا البعض، أشعر أنني سأتمكن من إنجاز كل ما يدور في رأسي باسترسال. أحلم بالخصوبة التي أحتاجها... إنها الوحيدة القادرة على أخذي حيث أريد. عزيزتي، أتفهمين الآن أي قلب ثَمِل أحمل هذا المساء، وأي مكان تشغلين داخله.

هل أقترف خطأ غبيا بالإفصاح عن كل هذا دون سابق إنذار. لكنك قد تفهمين ما أردت قوله... على أيٍّ، مَن بمُكْنَتِه أن يعيش دون أن يجازف؟

مادمت في الأول والأخير كاتبا، فعليّ أن أطلعك على هذا الجانب مني؛ هذا الجزء الذي تملكينه كما تملكين كل ما تبقى من الأجزاء.

كان من الأفضل أن أصف لك الأمر بدقة أكبر، بيد أننا سنتحدث عن ذلك لاحقا. وحتى ذلك الحين، راسليني أرجوك. ليس بإمكاني أن أنتظر العاشر من سبتمبر، أختنق فاغر الفاه كسمكة خارج الماء، في انتظار الموجة، ورائحة الليل، وملح شعرك. ليتني أستطيع قراءتك، تخيلك... ألا تزالين مبقية على حبّي؟ ألا تزالين في انتظاري؟ خمسة

عشر يوما فقط تفصلنا عن اللقاء. لا أدري بأي نظرة ستستقبلينني، أما أنا فيبدو أني سأضحك دون قدرة على التوقف، إلى أن أفيض.

اكتبي، اكتبي لي، أنتظرك، أحبك وأقبّلك.

أ.

19

4 سبتمبر (1948)

السبت

عزيزتي، لم أستطع أن أكتب لك بالأمس ولا أول أمس. البيت يعج بالزائرين. أول أمس زارني «شار» وأصدقاؤه، وبالأمس «غرونييه»[7]، معلمي وأستاذي كما تعلمين، لقد جاء من مصر مع عائلته. رأسي تدور بسبب كل هذا. وفوق كل هذا وذاك، لم تتوقف الأمطار عن الهطول منذ ثمان وأربعين ساعة حتى إنها أغرقت كل البلد؛ مما جعل الحياة تصير أصعب. اعتمدت على سيارة الأجرة في التنقل خلال هذين اليومين. لم أعد شخصا اجتماعيا كما كنت، فقد اعتدت على أن أكون بمفردي معك، في صحبتك الرقيقة والعميقة، لذلك لم أكن في أحسن أحوالي؛ كنت متعبا ومشوشا. اليوم عاد الهدوء أخيرا، لكني سأمضي بعضا من يومي رفقة «غرونييه». يبدو أن السماء لا تزال محملة بالأمطار لمزيد من الأيام القادمة. لكن يوم الجمعة سيكون موعد المغادرة.

لم تفارقي تفكيري البتة طوال هذين اليومين. كان الطقس جيدا مساء يوم الأربعاء، بالليل تجوّلنا أنا و«شار» في السيارة لنبلغ قمة

---

(7) . كان الكاتب "جان غرونييه" أستاذ "ألبير كامو"؛ حيث تلقى على يديه مادة الفلسفة في المعهد الثانوي بالجزائر، ثم أصبح فيما بعد صديقه. نُشر عمله في الNRF (المجموعة البيضاء لدار غاليمار للنشر) وقد كان لهذا العمل تأثير على مؤلفات "كامو".

جبل «فوكلوز». بريق درب التبانة ينسكب في الوادي كي ينسجم مع الهالة المضيئة القادمة من القرى. لم يكن بالإمكان تمييز النجوم عن أضواء المنازل؛ ففي السماء قرى، كما تتربع نجوم على قمم الجبال. كانت الليلة جميلة جدا، مديدة وعطرة، مانحة إيانا متعة الإحساس برحابة قلب العالم. ورغم ذلك، فأنت وحدك من يملأ هذا القلب. لم أشعر يوما أنني فكرت فيك بهذه السعادة وهذا الانطلاق.

وردتني رسالة من «ميشيل» يخبرني (دون أن أسأله عن ذلك) أنه لن تكون لديه غرفة شاغرة بحلول يوم الخامس عشر من الشهر. ماذا سنفعل؟ لا أدري. على كل حال سأتصل في الثامن أو التاسع من الشهر قبل أن أسافر. يرعبني الهاتف، ففكرة أنني سأجدك عبر هذه الأداة تضايقني. يضايقني أن أعود بمسرحيتي نصف جاهزة. لا أدري ما سبب ذلك، أعتمد عليك كي تعطيني دفعة وتساعديني... في الأثناء أنتظر، هذا تقريبا كل ما أفعله.

دعيني أحدثك عن بعض الأشياء التافهة، فقد فقدت سمرتي، ولن يكون عليك أن تحسديني. سيكون لوننا لون الزمن. أفكر في باريس، في الخريف، فينا نحن. هذا الفراق الطويل آن له أن ينتهي، لا أندم على ذلك فقد تبادلنا الرسائل، ويبدو لي أننا بهذه الطريقة صرنا نعرف بعضنا البعض أكثر. لقد تركنا حمى يوليو كي تهدأ، وسنرى الأمور بطريقة أوضح. أما أنا فانتهيت إلى أن هذا الحب أصبح أكثر تجددا، وأكثر صلابة، أكثر صبرا، وأكثر كرما. أحبك وأثق بك. والآن، ستبدأ حياتنا. **إلى اللقاء ماريا، إلى اللقاء عزيزتي، أقبّلك مطوّلا**

20

7 سبتمبر (1948)

بالأمس تلقيت رسالتك عزيزتي. أتفهم أنك لا تملكين شيئا لقوله. اقترب موعد لقائنا. هذه الرسالة الأخيرة أكتبها كي أطلعك على بعض التفاصيل. وعليه فأفضل طريقة للقاء هي باريس، ولكن من ناحية أخرى أريد أن أجنّبك ووالدك سفرا شاقا. إليك ما سنقوم به: سأنطلق فجر الجمعة باكرا أملا في أن أصل مساء إلى باريس، ثم سأتصل بك لحظة وصولي، أو سأرجئ الاتصال إلى صباح السبت إن وصلت متأخرا. في يوم السبت سأتوجه نحو «جيفارني»، سأتوقف في «بريسانيي» كي أتصل بك حتى توافيني على الطريق. هل يناسبك ذلك؟ يبدو لي الأمر مرتبا هكذا. سنعود حتما في نفس اليوم.

إن كنت موافقة، فلن يكون عليك سوى الانتظار. إن كان هناك أي تغيير في الخطة، أو إن قررت شيئا آخر أخبري «ميشيل». سأتصل به يوم الخميس منتصف النهار، وسيطلعني على ذلك. إن لم يقل لي شيئا فمعناه أنك موافقة على هذه الخطة الصغيرة.

حسنا، يمتلئ قلبي ويكاد ينفجر، لكنّي أشعر بالخرس كقبر. إن أنا فتحت فمي فسيتدفق كل شيء. أقبلك قبلات خفيفة، وأنتظر السبت.

أ.

21

(26 ديسمبر 1948)

الأحد، الساعة العاشرة مساء

قضيت يوما سيئا. وصلت هذا المساء ولم أتمكن من النوم. الطائرة تطوف بين النجوم ببطء فوق بحر «البَلْيَار – Baléares»؛ حيث تتلألأ الجزر، فكرت فيك. قضيت طيلة اليوم في المصحة رفقة هذه السيدة العجوز التي لم تكن تعلم إلى أي حد قد اقتربت من الموت. لحسن الحظ توجد أمي التي تستطيع أن تتهرب من أي شيء بفضل طيبتها ولامبالاتها (هي من أخبرني أن كل شيء سيكون بخير ونحن معا). أردت هذا المساء أن أتمشى في المدينة التي كعادتها تخلو منذ الساعة التاسعة. الأمطار هنا عنيفة غير أنها سريعة التلاشي. ينتابني شعور بأني في قعر العالم وأنا في هذه المدينة القاحلة، ورغم كل ذلك... هي مدينتي.

بالعودة إلى النزل انتابني إحساس غريب باحتمال لقائك هناك في الغرفة، وإمكانية حدوث شيء عظيم أخيرا. لكن الغرفة كانت فارغة، لذلك جلست كي أكتب لك.

لم تفارقني صورتك منذ الأمس. لم أحبك يوما بهذا القدر من العنف، في السماء، وفي الليل، وفي الفجر عند مهبط الطائرات، في هذه المدينة التي أجد نفسي فيها غريبا، وفي المطر، وفي الميناء... إن

أضعتك سأضيع أيضا؛ هذا ما أردت أن أصرخ به بما أنك طلبت أن تعرفي.

عليّ أن أنام، تمكن مني النعاس. أرسل إليك الأفكار التي خطرت ببالي هذا اليوم، وكلها حولك. سأبقى هنا لما يقارب العشرة أيام إلى حين موعد العملية القادمة. اكتبي لي، لا تتركيني وحيدا. ينتابني حدس وأفكار سيئة لدرجة أشعر معهما أني مثبط العزيمة. أوه عزيزتي، كم أحتاجك. إلا أنه توجد أيضا هذه الرقة التي أبعثها لك، هذه الرقة المنبعثة من هذا المساء بينما أتقوقع على نفسي من فرط العذوبة. أقبلك أيتها الحبيبة. أقبلك مطولا، وبالطبع أسمح لك بأن تتنفسي.

الإثنين، العاشرة صباحا (27 ديسمبر 1948)

أفضل ألا أعيد قراءة ما كتبتُ لك بالأمس وأنا مثقل بالنعاس، وأنا شاعر بالشجن كما شوارع الجزائر تحت المطر. تسللت أشعة شمس هذا الصباح إلى غرفتي. نمت لعشر ساعات دون أن أحلم. نعاس ما بعد الجنس، ويبدو أنه يوم منعش هنا في المدينة، الجزائر مدينة الصباحات، كنت قد نسيت ذلك.

اليوم، سأتناول الغداء مع أمي في الحي الذي قضيت فيه كل شبابي[8]. كيف كان غداؤك أنت بالأمس؟ قد أقطع يدي (أبالغ) كي

(8)) حي بلكورت (Le quartier de Belcourt)، هو الحي الذي عاشت فيه جدة "كامو" وأمه وأبناؤها، وبالضبط في 93، زنقة ليون (93, rue de Lyon).

أتنزه معك هذا الصباح قرب البحر، وكي أجعلك تحبين ما أحب يا فتاة الريح. انظري، الشمس تشرق على ورقي بينما أخط لك هذه الكلمات وسط هذه البقعة من الذهب. (بالأمس، بينما كنت أقلب كتابا فوجدت فيه هذا التعريف للشمس: «إنها العين المفترسة للذهب وللخلود». حتما، يبدو أن «رامبو - Arthur Rimbaud»[9] كان محقا؛ فالخلود هو البحر ممزوجا بالشمس. كما ترين، الصباحات في الجزائر تجعلني شاعرا).

أكتب بطريقة رديئة ومحدودة، ولا بد أن ذلك يعني شيئا ما. رغم ذلك أشعر بقوة تتعاظم داخلي، أشعر أن لديّ هذا القلب الجديد، وأشعر بالحب، بأجمل حب. أنتظر بصبر... هذا المساء أفكر بطريقة مختلفة؛ إذ بينما أنتظر أشعر بثقة عميقة وعنيدة. يقول «غوستاف دوري – Gustave Doré» إنه فيما يخص الفن، فلديه صبر ثور[10]. هذا الصباح أنا ثور في الحب. (في الحقيقة ليس تماما...)

هل كتبتِ لي على الأقل؟ بكل ما أوتيت من صبر، أغلي لمجرد التفكير في هذه الساعات وهذه الأيام المهدورة بالبعد عنك. أعجز

---

(9). قصيدة لـ "أرتور رامبو" بعنوان الأبدية؛ حيث يقول في مطلعها:
"إنها قد استُعيدتْ
ما هي؟ - الأبدية.
هي البحرُ يمضي
والشّمسَ."
آرتور رامبو، الآثار الشعرية، ترجمها عن الفرنسية ومهّد لها بدراسة: كاظم جهاد، منشورات الجمل وآفاق للنشر والتوزيع، ط2 (منقحة ومزيدة)، ص: 394. (المُراجع)

(10). ظهرت هذه الجملة في مذكرات "ألبير كامو"، وهي مأخوذة من رسالة "فان غوغ" إلى أخيه "ثيو" بتاريخ 28 أكتوبر 1883.

عن التفكير وأنت لست بين ذراعي أمام المدفأة. لن يكون بإمكانك الاعتناء بالنار في غيابي. حاولي على الأقل وكوني حذرة... يليق بك دور خادمة نار رومانية... خلال أسبوع سأكون هناك لأحررك. خلال أسبوع! ها أنا ذا أقل صبرا. اكتبي لي مطولا، أرسلي لي جزءا منك في هذه المدينة التي تنتظرك، صوِّبي نظراتك اتجاهي، وأحبيني كما فعلت يوم الرابع والعشرين منتصف الليل. إن كنتِ في حالة من الكآبة اعذري لي حيويتي وانشراحي هذا الصباح؛ لكنها الشمس.. وأنت..

أقبِّلك أيتها الحبيبة بكل ما أوتيت من قوة.

أ. ك

22

(28 ديسمبر 1948)

الثلاثاء

عزيزتي، أخط لك هذه الكلمات كي لا ينتهي هذا اليوم دون أن أراسلك. الوقت متأخر وأنا متعب جدا، مستهلَك بسبب كمّ الذكريات التي اعترضتني في الحيّ الذي نشأت فيه؛ الأهل المنسيون، وصديق الطفولة الذي تناولت معه العشاء. لقد قررت محاولة التقليل من زياراتي للجزائر، وأظن أن ذلك سيناسبك كي تأخذيني أنت إلى حيّك القديم.

لحسن الحظ توجد أمي. قد أفعل أي شيء لِتلتقيها. اليوم على الغداء، كانت شفتاي تلهجان باسمك طوال الوقت. أردت أن أخبرها عنك، عنّا. وما منعني عن ذلك أنّي أردتها أن تنعم بالسلام، كما لم أشأ أن أعكر صفاء قلبها الطيب. ولكن رغم ذلك فقد أفصحت لها عن سعادتي وعن شقائي؛ وقد روّح ذلك عني. إنها الكائن الوحيد الذي أريده أن يكتشف هذا الحب العميق الذي قلب حياتي رأسا على عقب. لست واثقا أنها ستفهمه، لكنها ستفهمني لأنها تحبّني. لا أتردد في قول هذه الأشياء لك، أعلم أنها ستوقظ داخلك بعض الآلام، لكنها أشياء حقيقية ولا أستطيع إخفاءها.

كل هذا سيجعلك تدركين لماذا أفهم ما لا تفصحين عنه. بقدر ما

نستطيع أن نتشارك الألم فشقاؤك هو شقائي أيتها الحبيبة.

الطقس جميل هنا، لكن قُصارى ما أريده هو الرحيل عن هذا المكان، الهروب للقائك. لم أتوقف عن التفكير فيك، فأنت تجتاحينني حتى حين لا أرغب في ذلك. لدي صورتك في غرفتي، أتملّى بالنظر إليها في كل آنٍ حين. في الخارج كل شيء يذكرني بحياتنا، ويجعلني مشتاقا.

كنت آمل أن تصلني رسالة منك اليوم، لكن الوقت لا يزال باكرا، وخيبتي بسبب صندوق البريد الفارغ تبدو غبية. كل ما تبقّى لي هو أن أتخيلك؛ وهو ما أحاول فعله بنقاء شديد. يقولون: «غادر جلدك لشهر وسيغادرك لستة أشهر». تبدو هذه المقولة صحيحة، لكن ما يرعبني أننا ندخل في الشهر السابع.

آه أنت.. كم أنتظرك. الماء يتصاعد في قلبي... مساؤك سعيد أيتها الحبيبة.

23

27 يوليو (1949)

ريو[11]، الساعة العاشرة والنصف

حبيبتي العزيزة،

لقد عدت أول أمس من «باهيا – Bahia»[12] فوجدت رسالتك بتاريخ الثامن عشر من يوليو. كنت قد عدت محموما ومصابا بزكام مضاعف؛ فأمضيت الأمس ممددا على السرير، عاجزا عن الكتابة. لكنني لم أعجز عن التفكير في رسالتك ولم أتوقف عن ذلك. هذا الصباح أشعر بتحسن كبير.

لقد فهمتِ نواياي، لن أناقشك في هذا. أريد فقط أن أقول لك فورا إن رسالتك حُبلى بالقلق، ومقنعة لدرجة لن أحاول معها القيام بها تجدينه أنت صائبا. إلا أني سأحدثك من كل قلبي، كما أفعل دائما، وسأقول لك أنني لا أثق كثيرا فيما تعتقدين أنه صواب. أن أواصل حياتي، فذلك يعني أن أواصل القيام بدوري، وقد يتطلب ذلك الرحيل في منتصف النهار، أو الرحيل متى كان ذلك ضروريا؛ مرافقة هؤلاء المحيطين بي، مغادرتك أحيانا، محاولة التعبير عن المعاناة بلا جدوى، واختيار الطيبة ما أمكن. نظريا يبدو ذلك جيدا،

(11). اختصار لـ "ريو دي جانيرو" (Rio de janeiro)، ثاني أكبر مدينة برازيلية بعد "ساو باولو". (المُراجع)

(12). ولاية من ولايات دولة البرازيل. (المُراجع)

أما فيما يتعلق بالتطبيق فهذا أمر لا يطاق أمام شخص مثلك. كل خطوة، كل محاولة لاستحضار الحياة يتردد صداها حولك، ويكفي أن تحرميني وجهك كي أشعر أن كل شيء يهجرني.

لا شك أن كل هذا سيصبح ممكنا إن أنت ساعدتني، فأنا أتعذب بسبب كل هذا الكذب، وأعاني شعورا بالاختناق يساورني على الدَّوام. رغم واقع أنني عازم على كل شيء، ورغم مساندتك لي، ولكن ينتابني أحيانا شك بأنك لن تساعديني، ليس بسبب شحٍّ في كرمك أو تقتير في حبك، طفلتي الصغيرة، ولكن بسبب القدرة الجسدية. ستنفجرين وستقولين كلاما موجعا، بجبين مقطب ومواقف لن تفارق ذاكرتي. أحبك بشدة، حبا يكفي لِيجعلني قادرا على المقاومة لفترة أطول، وعلى حمايتك بقوة الحب. لكن حين تنهار هذه القوة داخلي، وحين أعجز عن إبقائك فلن يتبقّى لي سوى الحزن.

قد أكون مخطئا. أعيد قراءة رسالتك بحثا عن لهب أو قرار يعيد لي الأمل... بلى، إن سعادتك هي كل ما فكرت فيه وكل ما أفكر فيه. أنت تعلمين ذلك، كما تعلمين جيدا أنني لا أريد شيئا سوى هذا البريق في وجهك. طوال تلك السنين التي ابتعدت فيها عني، لم تساورني سوى فكرة واحدة: «هل أنت سعيدة؟»، فإن كنت كذلك وأنت بعيدة عني فستختفي [لا ريب في ذلك] كل المرارة التي غصصت بها. غير أنني لم أكن لأصدق أن سعادتك وأنت بعيدة عني سعادة حقيقية. في هذه اللحظة، جزء كبير من ألمي سببه أني عاجز عن إسعادك، وأنني أحيانا أجد نفسي عائقا يحول بينك وبين الحياة التي

تناسبك. لكن رسالتك أقنعتني أن ما أريد فعلَه نفسَه لن يجلب لك السعادة. (لا تعلمين كم أنت فصيحة) إذن فكل شيء يعتمد على قوة حبنا. وفي الحقيقة، أنا لا أملك أملا إلا في هذا الحب.

حبيبتي، أنا أيضا حلمت ولا أزال أحلم بحياة معك، لكني وجدت نفسي في طريق غير نافذ؛ لذلك حلمت بعهد أسمى، بنوع من الزواج السري الذي سيجمعنا رغم كل الظروف، سيوثق رباطنا أنا وأنت رابط لن نتوقف عن تعزيزه، قد لا يكون حيًّا للآخرين، ولكنه سيكون مغذيا لنا. أفكر إذن أني، أنا وأنت، واثقان من حب أحدنا للآخر حتى المات، كما أشعر، وسنكون قادريْن على عيش ما كان يجب عيشه، دون أن نمسّ من قلب الحياة، حياتنا، عائديْن إلى بعضنا البعض بنفس اليقين، ونفس الذكاء، ونفس الرقة. وطن لا ينضب، لكلينا، وحدنا. أتفهمينني؟

هذا اليقين العميق والطبيعي، سيجعل كل شيء سهلا، سيجعلنا أحرارا، وسيمكننا من معاملة الآخرين بشكل أفضل... لا شك أن هذا حلم.. أليس كذلك؟ لكننا لم نُخلق كلنا على نفس الشاكلة، وربما لذلك لا يجدر أن يكون لنا نفس مصير كل الآخرين. كل ما كان ينقصنا منذ أربع سنين، هو أن نكون واثقيْن من أن حبّنا متبادل، أما اليوم فنحن نمتلك هذا اليقين. إذا اعتمدنا على هذا اليقين، فكل شيء سيكون ممكنا، كل شيء دون استثناء... لطالما أحببتُ التعقيد، (بالمعنى الجميل للكلمة) ولطالما أحببت أن أتقاسمه مع شخص ما؛ وقد وجدته معك كما وجدت معنى جديدا لحياتي. هل بالإمكان أن نتجاوز كل هذا؟ على كل حال، إما أن يكون هذا الحلم مِلْك يَمِيننا،

وإما سيسودنا الدمار.

أفضّل الركض نحو الدمار رفقتك على أن أكون مرتاحا في وحدتي. في كل الحالات، ولأن كل شيء يعتمد بالأساس على قوّتنا، لن نستطيع أن نستسلم للأسى دون المقاومة إلى آخر رمق. وأنا أعلم أني أحبك بطريقة تمنحني قوة لا تنضب.

عزيزتي، ها أنا قد كتبت هذه الرسالة المجنونة كي أَبُثَّكِ شكوكي وآمالي. واعلمي أنك كل أملي، وعِي أني أعرف قوتي، أعرف مكامن موهبتي، أعرف حبي معرفة تجعلني واثقا حتى أتصرف فيما يتعلق بي. أما فيما يتعلق بك، فأنا تغلبت بدون كلل على طعم الحطام الذي نتشاركه أنا وأنت، ولست متأكدا إن كنت أنت أيضا قد تغلبت على ذلك. كل ما أقوله هو إننا أمام المنحدر الأسهل، وإننا لا نملك سوى أن نسلك الطريق نحو الأعلى. أعرف أيضا روحك، وتطلبك الذي يجعل شكوكا تساورك حول ذاتك وخيارك. لا يهم، ما يهمّني هو أن تتوقفي عن القلق؛ فأنا لن أُقْدم أبدا على أية خطوة دون موافقتك. موافقتك ورضاك العميق هي كل ما أملك في هذا العالم، وهي في الحقيقة كل ما أرغب فيه. اكتبي لي سريعا، اكتبي لي أنك تحبينني وتنتظرينني. مُدّيني بالقوة كي أكمل هذا السَّفر الذي لا يريد أن ينتهي، واعذريني لأني جلبت لك هذه السعادة الوَعْرَة والممزقة. قريبا سينتهي المنفى وسأحتضنك، قريبا سآخذ بين ذراعي وجهك، وشعرك، وارتجافتك الخفيفة. نعم، إلى اللقاء حبيبتي العزيزة. وفي الانتظار، أحيا بك.

أ.

24

4 أغسطس (1949)

الخميس، التاسعة مساء

حبيبتي العزيزة،

وصلت إلى هنا بالأمس وتنتظرني أيام مليئة بالأحداث، لذلك أكتب لك فورا. لدي مواعيد كثيرة على امتداد اليوم، ثم لدي مؤتمر بالمساء. غدا صباحا أسافر في السيارة لمدة ثمان ساعات عبر طريق موغل في هذه البلاد، كي أحضر حفلا محليا يفوق الوصف كما يقولون. سأعود بنفس وسيلة النقل يوم الأحد إلى «ساو باولو – Sao Paulo»[13]. يوم الإثنين لدي مؤتمر، وسأطير يوم الثلاثاء إلى «بورتو أليغري – Porto Alegre»[14] في أقصى الجنوب. أما في يوم الأربعاء فسأتوجه إلى «الشّيلي». خلال الأيام القادمة من هذا السفر عبر الأدغال، لن أكون قادرا على الكتابة لك، لكن حتما سأكتب لك رسالة يوم الإثنين.

«ساو باولو» تشبه «نيويورك» و«وهران» على حد السواء. يتم هنا بناء أربعة منازل في كل دقيقة؛ وهو أمر مرهق لمجرد تخيله. حظيرة بناء تتمدد وتتوسع كل يوم، ثم في المساء يتوشى المكان بغناء ملون، ثم تحتج العصافير بحدة عبر النخيل الملكي قبل أن تخلد إلى النوم.

(13) . أو "القديس بول" بالفرنسية، وهي إحدى مدن جنوب دولة البرازيل.

(14) . من كبريات مدن جنوب دولة البرازيل.

كانت رحلتي الثانية إلى «ريو» مقتضبة. أدرت مؤتمرا حول «شامفور – Chamfort»[15] أمام جمهور من صاحبات القبعات المزينة بالريش. لطالما تساءلت لماذا تنجذب نساء العالم إلي. في النهاية لقد كنّ هناك، وسمعوا رأي «شامفور» في نسوة العالم. نزلة البرد تركتني متعبا، لكنها انقضت. قضيت نهاية الأسبوع الفارط في الجبل على بعد مائة وخمسين كيلومتر من «ريو»؛ وهو ما جعلني أشعر بتحسّن. أخيرا أتنفس.

عند عودتي وجدت أخيرا رسالة منك. (بقيت محروما من أخبارك لمدة ستة أيام)، حتما كنت غبيا عندما حدثتك عن الآخرين وعن الصدف والحظ، لكنني، كما أخبرتك، لم أكن في كامل مداركي حينها. اعذريني لأني أزعجتك بذلك، لكن هذا القلب القلق الذي يرافقني لن يتوقف عن قلقه إلا بعودتي.

أريد بدوري أن أجيب على أسئلتك، سآخذ الطائرة إلى باريس، وسأصل خلال ست وثلاثين ساعة. لا أعرف إن كنت أريد أن أراك في المطار. فكرة أن أراك قبالتي تجعلي أرتجف من فرط السعادة. لكن سيكون في انتظاري بعض الأشخاص، وأنا أفضل أن أراك وحيدة أمامي. أعلم أن طلبي يأتي متأخرا ، لكن هلا طلبتِ من «روبير» (جوسو) أن يقلني بسيارته. هكذا سأكون سريعا بقربك.

تغمرني السعادة وأنا أتحدث عن لقائنا، غير أن عشرين يوما لا تزال تبعدني عنك.

---

(15). (1741-1794)، شاعر وصحفي وفيلسوف أخلاقي فرنسي، اشتهر أساسا بكتابه "حِكَم و أفكار".

لا أعرف ماذا سأفعل حال وصولي. يعتمد ذلك على «إيبارتو»، وعلى البروفات. يبدو لي على كل حال أني سأظل في «باريس» عشرة أيام، ثم سأذهب إلى «أفينيون» وأعود منها خلال أربعة أيام أو خمسة. لاحقا سأتفرغ لنا، سأكرس كل قواي من أجل سعادتنا؛ وكل هذ يعتمد على ما سأجده عندما أصل إلى باريس.

تريدينني أن أطلعك على ما يجول في صدري؟ أنا حقا أخبرك بكل شيء دون تفكير مسبق، حبيبتي العزيزة. ما لا أطلعك عليه أنت تعلمينه جيدا؛ إنه هذا التمزق الذي نحن فيه، إنه عذابي وأنا أعلم أني الأذى بِعينه، إنه عجزي عن إسعاد هؤلاء الذين أُكنُّ لهم أكبر حب. عزيزتي، لِمن سأقول كل هذا إن لم يكن لك أنت؟

في كل مرة أبتعد فيها عنك، تجتاحني رغبة في الهروب، أو في الموت. لكن تأتي هذه اللحظة التي ألتفت فيها إلى هذا الحب، حبنا، فأجد الاعتزاز الحقيقي، اعتزاز يتجاوزني خُلق من مقاومتنا المشتركة، بينما أنت قربي، ترافقينني، تساعدينني بكلماتك وبأنفاسك.

معاً في هذا، وضد كل شيء. لن يستطيع شيء أن يفرقنا، أو أن يحطم هذا الرابط اللين والصلب في آن، كأنه جذر لشجرة الحياة. نعم أنت حياتي، أنت روحي الأعز، متعتي، عاصفتي الجميلة، والسلام الذي ينتظرني، دعيني أفضي لك بحبي، دعيني أنطق اسمك. كل منا يجلس في ضفته ويلوح للآخر ملء يديه. هذا كل ما نستطيع القيام به. لكنه تلويح مَن لا قِبَلَ لشيء بِتفريقهما، حتى البحر بينهما يوحدهما.

آه عزيزتي، تلك اللحظة التي أعود فيها إليك... أقبّلك في كل مكان في جسدك، أحبك، أنتظرك. إلى اللقاء يا وجهي الجميل، أقبلك مجددا.

25

(14 ديسمبر 1949)
الأربعاء، الساعة الخامسة مساء

(ليلة عرض مسرحية «العادلون- Les Justes»)

حبيبتي،

ها هي ذي الرسالة التي صرفت قبل كتابتها وقتا غير قصير في التأمل. لا تخافي، إنها رسالة جيدة لا علاقة لها بما يمزقنا. الأمر ببساطة أنه وبينما تعرض هذه المسرحية، أشعر بمزيد من الحزن لفكرة أنك تجدين نفسك وحيدة، وقد قطعت وعدا على نفسي أن أترك لك هذه الشهادة التي بإمكانها أن ترافقك قليلا، وأن تساعدك على العيش داخلي ومعي، في هذه الليلة التي تخصنا.

لكني لم أكن أعتقد أني سأكون متعبا لهذه الدرجة التي أجد نفسي معها عاجزا على قول ما أريد، لكني سأحاول رغم ذلك.

بعد قليل ستغادرين بدوني، هذا وحده يجعلني أشعر بالغضب والشقاء. ولكن يجب أن تعلمي أنك لست وحيدة، فلن أعيش، أو أتنفس، أو أصرخ إلا معك وعلى الدوام. أعلم أن جزءا من الوحدة بداخل كل شخص لا يمكن لأحد أن يبلغه؛ إنه الجزء الذي أُكنُّ له

الاحترام الأكبر. وعندما يتعلق الأمر بك، فأنا لم أحاول أبدا أن ألمس هذا الجزء أو أن أتعلق به. وأعلم [علم اليقين] أنه ليس ألما أو بهجة أنا قادر على مشاركتك إياهما.

وحتى نتمكن من عيش هذا الحب الذي يخنقني حاليا طوال الليل والنهار (ليل الرغبة والحب منفردا هو الأثقل والأطول)، لا بد أن نتجاوز هذه المصاعب التي تعترضنا، سنتجاوزها حتما. أعلم أنني مشدود إليك بوثاق من أشد الوُثُق إحكاما؛ وثاق الحياة. هذا ما أريد تفسيره لك في هذه الرسالة، لأنني لم أتمكن يوما من قول ذلك. نقول أحيانا إننا اخترنا هذا الشخص أو ذاك، أما أنت فأنا لم أخترك؛ لقد دخلتِ بمحض الصدفة إلى حياة لم أكن فخورا بها. ومنذ ذلك الحين، أخذت هذه الحياة تتغير ببطء رغما عني، ورغما عنك أنت التي كنت بعيدة ثم جئت إلى هذا المكان المغاير.

إن ما قلتُه، أو كتبتُه، أو قمتُ به منذ التقيتك في ربيع 1944، كان دائما مختلفا في عمقه عن كل ما حدث لي أو ما حدث داخلي قبلها. صرت أتنفس بطريقة أفضل، صرت أكره الأشياء بشكل أخف، أعجبت بالأشياء التي تستحق الإعجاب بحرية أكبر. أما قبلك، خارجك، لم أنخرط في شيء البتة. هذه القوة التي تسخرين منها أحيانا، لم تكن سوى قوة منفردة، قوة رفض، أما معك فأنا أقبل الأشياء أكثر، كما تعلمت العيش على نحو معين.

ليس صحيحا أننا نصبح أفضل، فأنا أعرف دائما ما ينقصني. لكننا نقبل ما نحن عليه وما نقوم به؛ وهكذا ينضج الرجل. معك أشعر أنني رجل؛ لهذا السبب، ودون أي شك، يمتزج حبي لك

بامتنان بالغ. وكل قلقي، هو أن أشك في قدرتي على منحك بقدر ما منحتني. لذلك فأنا أبكي دموعك، وأشعر أني بائس وعاجز لأني أظل ممنوعا مبتلعا صوتي الذي يصرخ بالرقة والإخلاص.

لقد بلغني منك من الأذى ما لم أتوقعه من مخلوق. أنت أيضا تفكيرك بي اليوم ممزوج بالألم. لكن مع هذا القدر من المحنة، لا يزال وجهك بالنسبة إليّ وجه السعادة والحياة. لا أملك شيئا حيال ذلك، لم أفعل شيئا كي أكسب ذلك، لم أفعل سوى أن أطلقت نفسي لهذا الحب الذي أفرغني من الداخل، قبل أن أمتلئ به ويبلغ قلبي. لقد صُنعت على هذه الهيئة، لا شيء بإمكانه تغيير ذلك، أعرف ذلك، وسأحبك إلى النهاية.

أ.

26

(15 ديسمبر 1949)

ستكونين الأجمل والأعظم. بعيدة عني، لكن حتى وأنا وحيد في غرفتي فإن أعظم فرحة تتملكني هي أن أكون قادرا على تأمل من أحب. هذا المساء لن أفكر بسواك، حبيبتي، وفي نجاحك أنا أنصت لك عن بعد، وأشكرك على كل شيء بقلب يفيض.

أ.

بطاقة مرفقة بباقة ورود.

27

(3 يناير 1950)

الثلاثاء، الساعة الثالثة بعد الزوال

لقد غادرتك[16]، ومنذ ذلك الوقت وأنا لا أعرف كيف تمر الساعات، تمر في اللامبالاة. ما أن اتخذت مقعدي في القطار حتى انطلقت الصافرة وأيقظت بداخلي شيئا ما. لقد كنت أتألم. تأملت الناس ووجوههم، زبائن عربات القطار ذات الأسِرَّة، لا شيء يدعو للفخر. تشكيلة من السحنات الغريبة والبذيئة. فكرت في المسرحية **(Les Justes)**. تماما، لقد فكرت أن العدالة الوحيدة هي أن يعاد توزيع الظلم بطريقة جديدة، نقوم بثورات كي يكون آخرون هم من يأخذون العربات ذات الأسرّة... عظيم، أويت إلى السرير، أخذت حبوبا منومة ورغم ذلك لم أنم سوى فجرا. أزيز العجلات، والتوقف في المحطات، والليل، والناس الذين يركضون وينادون. أما أنا ففكرت فيك، فكرت فيك أنت. ما الذي أفعله هنا؟ هذا كل ما جال ببالي. استيقظت في تمام الساعة الثامنة صباحا، أزحت الستارة، ووجدت نفسي أمام البحر، ولم أشعر بشيء، ذهبت إلى الحمام، ثم إلى

---

16) لغرض العلاج من السل، أرسل "ألبير كامو" لمدة ثلاثة أشهر إلى قرية "كالي - Calais". وقد رافقته زوجته "فرانسين - Francine"، بينما كان طفلاه في "وهران" عند جدتهم. مكث الزوجان في منزل "بيير هيربار – Pierre Herbart"؛ وهو روائي وصديق لـ "أندريه جيد – André Gide".

عربة الطعام. كنا بصدد عبور الإستيرال، عبر الأشجار التي أحب، والتلال، والأرض الحمراء لكني لم أشعر بشيء. تجاوزنا «سان رافايل – Saint Raphael»، ثم كان البحر مجددا. ولا شيء أشعر به.

عندما وصلنا إلى «كان – Cannes» وجدت في انتظاري السيارة التي أرسلها مركز «هيليو ماران – Hélio Marin» (والذي يديره «روبير»). لسوء حظي أن المدير وزوجته جاءا لاستقبالي؛ «ظننتك أكبر سنا سيدي»، «أنا فعلا أكبر سنا سيدتي، لكن المظاهر تقف ضدي»، «والحياة في باريس؟» «أحيانا جيدة وأحيانا سيئة» ... إلخ. أخيرا وصلت إلى «كابري– Cabret». هناك فعلا، الصمت الكامل. مشهد واسع أمام القرية في القمة، والهواء لاذع وخفيف، لقد استيقظ شيء ما بداخلي. رائحة العشب كانت كافية كي أرى أمامي مجددا أيامنا في «إرمونوفيل – Ermenonville»، والسماء الصافية لشتنبر، لتنتاب قلبي فجأة فورة غضب وحنق ويأس وحب.

أكتب لك من سريري في المهجع، إنها غرفة قد يكرهها «ميشيل»، أما أنا فأجد فيها السلام. أنتظر أن يكون المنزل جاهزا. نافورة القرية تنهمر تحت نافذتي، ويبلغني صوتها الخفيف. أحبك، وتعود لي الحياة، سأعيش بك هنا، مع كل العناء، ولكن داخل الحب. سأنتظرك وأنتظر رسائلك. اكتبي إليَّ [في العنوان:] «أ. كامو»، كابري، الألب - مارتيم. سيكفي ذلك، اكتبي لي بسرعة، أخبريني عن كل شيء يتعلق بك وبأيامك. من ناحيتي سأقص عليك كل تفاصيل حياتي هنا. أرق البارحة أتعبني لذلك أوجزت [تفاصيل] يومي. لا تنسي أن تُضيفي إلى ذلك حزني، وهذا القلب المنقبض الذي لم يفارقني

اللحظة منذ الأمس، وخاصة هذا الحب الخالص الذي يغمرني الآن، ثم ثقتي، ورِقَّتي.

«ماريا»، «ماريا» العزيزة، كل هذا هو مجرد حلم سيء، سنستيقظ منه معا، وإلى غير رجعة إليه. أقبّلك يا حبي العزيز، أضمك إلى صدري، آه كم أحس الألم وأنا بعيد عنك.

أ. ك

28

(18 يناير 1950)

الأربعاء، الساعة العاشرة ليلا

لا رسائل وردت منك اليوم، كنت قد توقعت ذلك، أو لنقل إنني على الأقل لم أتوقع أن تكتبي لي رسالة كل يوم، لكن يومي كان كئيبا بعض الشيء. بالأمس كتبت قليلا ثم أويت إلى الفراش باكرا. أعدت قراءة رسالتك التي وردتني بالأمس. تقلبت وتقلبت في سريري، شرعت في قراء ثلاثة كتب أو أربعة دون أن أتمكن من إنهاء أي واحد منها، لكني على الأقل وجدت هذه العبارة لدى مسافر عبر الصحاري العربية والأمريكية: «الحب في هذه البلدان الحارقة يصبح شعورا لا يمكن تشويشه، إنه الاحتياج الأكثر أهمية للروح، إنه صراخ الرجل الذي ينادي الريف كي لا يظل وحيدا وسط الصحراء». حين أتذكر قلبي قبل أن أعرفك، أوافق على [مضمون] هذه المقولة.

ليلة سعيدة حتى وإن كانت مثقلة بالرغبة.

صباح هذا اليوم تملكني هوس لا يمكن التغلب عليه، لدرجة أني اقترحت أن نذهب في جولة بالسيارة. صعدنا لما يقارب الـ 1200 متر إلى «توران» ـــــ محطة العلاج. كان المكان كئيبا، لكن الوضع

تحسن عند العودة. أرغب حقا أن تخف رتابة هذه الرغبة كما تقولين.

وصلتني بعض الأخبار بالبريد من «منتيفيديو – Montevideo»، التي لاقى فيها كتابي «كاليجولا – Caligula» مترجما إلى الإسبانية نجاحا منقطع النظير. ربما كان ينبغي أن أولد إسبانيًّا.

هذا المساء اشتغلت قليلا، فرغت من التوطئة، بعد ذلك سيكون ذهني حرا للتفكير في المقال[17]. غدا صباحا سينزل كلٌ من «ميشيل»، و«جانين» و«فرانسين» إلى «كان» للتبضع، وسأكون بمفردي هادئا. إن توصلت برسالة منك في فترة ما بعد الزوال، فلن يكون اليوم سيئا.

أظن أن صحتي أصبحت أفضل. في البداية، كنت أرغم نفسي على الأكل، أما الآن فشهيتي مفتوحة، حتى إنني أستغل ذلك كي آكل كما في أيامي الجيدة كما تعلمين. أنام بشكل أفضل. وإن لم أكن قد قررت مسبقا أن أتابع بدقة قواعد فترة النقاهة هذه، لكنت ضربت كل شيء عرض الحائط كي أعود إلى باريس. أنا الآن مشبع بالحياة مجددا، وأبتلع كل هذه القوة التي عادت إليّ.

فيما يخص كل ما تبقى، فألخص لك الأمر ببساطة. أنا في انتظارك، وأرفض أن أعد الأيام، أخاف من الدوار الذي سيعتريني حين أفعل، هذا الدوار غير النافع. لكن كياني برمته ينتظرك بكثير من الهدوء، وكثير من الغليان. أحيانا أنساك حين أتحدث مع آخرين، أو أكون بصدد حلق ذقني، أو عندما أكون منزعجا بسبب جملة لا تنصاع،

(17) الإنسان المتمرد.

لكن في اللحظة التي تلي ذلك تغمرني نعومة، ويغمرني ثقل خفيف، وشيء ما يخبرني أنك عدتِ؛ وكأن حمامة حطت على كتفي لترسم ابتسامة في أعماقي.

هذه خلاصة كل شيء. آه، يوجد أيضا هذا القط، قط نبيل ومخصيّ، «ساري» الجميل الذي يؤنسني... وخلال كل ما يحدث أحيا معك، لك، وألامسك طوال الليل والنهار وحين لا أنام، ومجددا. لقد كُشف سري، ولست سعيدا بالإفصاح عن ذلك. رسائلك تجعلني أستمر في العيش، لا تنسي ذلك. إلى اللقاء جميلتي العظيمة، حبيبتي العزيزة. أُقبِّل وجهك الصباحي عاريا، وأحبك.

أ.

29

(4 فبراير 1950)

السبت، الساعة الثالثة بعد الزوال

أكتب لك رسالة مسكينة اليوم، رسالة تشبه كلبا مبللا. أريد أن أكون قربك كي أساعدك في كل هذا، أريد حتما أن أساعد والدك، ولكن هذا مستحيل، لنأمل فقط في هذا المصل. أقبلك بكل ما أملك من رقة.

بالأمس، بعد أن بعثت رسالتك، عملت وتقدمت قليلا في المقال. نمت جيدا، ثم رن الهاتف وكان «روبير» (جوسو)، سألتقيه غدا في «فالوريس – Vallauris». يوم الإثنين ستصل «ميشال آلفان» إلى «كابري». أنت تعرفينها، إنها الفتاة من مجموعة (Liaison) المكلفة بشؤون «أنجل روجو»، والتي رافقتني ذات مساء إلى بيتك. إنها ضجرة، (طلاق وعلاقة شاقة) وقد أتت لتنعم ببعض السلام. يسعدني ذلك؛ فهي فتاة ضاجة بالحياة رغم ما تمر به، وأنا أحبها حقا. لكن كل ذلك لا يسمن ولا يغني من جوع، إن رغبتي الوحيدة والعميقة هي أن أعود بالقطار. رغبة عميقة لدرجة أني لا أريد التحدث عنها مخافة أن تجرفني الحماسة وأقوم بتنفيذها.

إنها تمطر منذ الصباح دون توقف، والناس هنا كلهم يتنزهون؛

وهو أمر مشجع.

لقد تلقيت هذا المقال اللطيف من «دوسان»، التي نشرته في مجلة (Le Mercure). هل رأيته، هل تريدين أن أرسله إليك؟ غير أنه من ذلك النوع من المدح الذي لا يجعل الجماهير تفرّ. هل أنا متزمت ومتأسف؟ لقد جاء في المقال أنه في «كورناي»، يموت الأبطال، لكن شيئا ما يتم إنقاذه بموتهم. (روما، والشرف، ولست أدري ماذا)، ولا يوجد غير شيء واحد لم يتم إنقاذه بموت «كاليايف» وموت «دورا»... شيء ما جيد أعظم من روما وهو الحب الذي لا يمل لهذا المخلوق؟ تعرفين أنني لا أحب أن أكون مهمشا، وأنني لا أملك سوى الازدراء لهذا النوع «غير المفهوم»، لكني أملك انطباعا متفردا ومؤلما بأني أخاطب نفسي. أميل إلى أن يكون هذا العالم الذي أعيش داخله طبيعيا، لكنني في كل مرة أقارنه بعوالم الآخرين لأجد ردود فعل تقول إني غريب، كأنني بعيد كل البعد عن أن أكون طبيعيا، إنه عالم مجنون وغير متزن. ماذا أفعل؟ هل أكتب قطعا مقفاة وقصصا عن المؤخرات كي أنسجم [مع التيَّار]؟

غدا سيكون يوما حزينا، سيصل محملا بالضباب. أقول مشجعا نفسي إننا قريبا سننهي نصف فترة هذا المنفى، قريبا.

اكتبي لي، مرة واحدة، رسالة طويلة مفصلة، كي تدفئني قليلا. أحبيني. أُقبِّلك، كما تشتهين، وكما أشتهي... آه، حبيبتي، هل تذكرين الشاحنات في الفجر في «سنليس- Senlis»؟ كانت تمرّ ثم يعود الصمت بعدها. أتذكرين الليل وأنت متوهجة؟ سعيد أنا ... رغم حزني هذا اليوم. أحبك.

30

(17 فبراير 1950)

الجمعة، الساعة الثالثة بعد الزوال

طفلتي العزيزة، أقبّلك بحزن، بفزع، وبكل ما أكنه لك من رقة، اضمّك مطوّلا بين ذراعيّ. منذ اتصالك الهاتفي وأنا أتألم لكوني على قيد الحياة، كما أن أفكارك تلازمني. اتصلت بشركة الطيران، لكن لا توجد طائرة قبل الثلاثاء، وذلك وقت متأخر جدا بالنسبة إليّ. سيقومون بالاتصال بي إن وجدوا لي مقعدا شاغرا. إن حدث ذلك فغدا بعد الزوال أكون بقربك، وإلا فسأحاول كل شيء كي أكون عندك في أقرب وقت ممكن.

أعلم أني لا أملك شيئا كي أخفف من حزنك عدا المكوث بقربك، وربما لا تريدين أن تتشتتي عن حزنك. لا أملك سوى التفكير. لقد جنّ جنوني بمكالمتك، قلبي مشدود، وعاجز أنا عن إيجاد الكلمات. أخيرا أسمع صوتك وأي خبر أتاني به! حبيبتي المسكينة، صغيرتي العزيزة، أنا حزين لأجله، لقد أعجبت به وأحببته من خلالك، لكني أواسي نفسي بأن هذا العذاب الطويل لم يكن أفضل حياة له.

لقد قام بمجهود جبار، كي يعيش رغم كل ما حدث معه. كم كانت حياته حزينة وشاقة، الوطن الناكر، والمنفى، والعذاب

الجسدي، لكنها لم تذهب سدى. في المرتين أو الثلاث مرات التي التقيته فهمت أنه أرفع من عذاباته، وفهمت أيضا أنك سعادته الحقيقية، فخره الذي لا ينتهي. أنا لا أؤبنه إن بكيته معك، بل أنا معجب به وبكيف تمكن من أن يظل شفافا ووفيا وسط الكوارث.

أنتِ من يشغل بالي، أنت يا حيرتي العزيزة، ما لا أستطيع تحمّله هو حزنك، وعذابك، وارتباكك. آه يا حبيبتي، حان الوقت كي تعلمي أنك لست وحيدة في عالم مقفر. لا شيء بإمكانه أخذ مكان هذا الرجل الذي رحل، لكن شخصا ما يشبهك، شخص ما سيحقق لك العدالة، سيكون دائما موجودا من أجلك، رغم المسافة، ورغم عبث حياته... كم أشعر بالحزن وبالقرف لكتابة كل هذا بدل أن أكون صامتا جوارك. لكننا متّحدان في قلب هذه الحياة الفظيعة رغم حدوث أي شيء.

ابكي إن أمكنك ذلك، أفرغي كل دموعك. لا تعودي إلى العمل بسرعة، استعيدي أنفاسك على الأقل، ولا تكتبي لي حتى تشعري برغبة في ذلك. هذه الرسالة أكتبها كي أعبِّر لك عن شقائي، شقائي البالغ الذي لا يمكن مواساته إلا بلقائنا. هذا اللقاء الذي لن يعوض التمزق الذي تمرّين به، لكنني سأعتني بك كما أعتني بطفلي الحزين والعزيز. أقبل يديك، ودموعك، ووجهك المسكين بينما أتخيله. أقبّلك متألما.

أ.

31

(2 مارس 1950)

الخميس، الساعة السادسة مساء

كم هو صعب ألا تكتبي لي عزيزتي. كل ما أرجوه ألا يكون معنى هذا الصمت أنك حزينة. أما أنا فسأنتظرك، سأنتظرك كل الوقت اللازم. كان نهارا جميلا ولطيفا، والآن وقد حل المساء أرغب حقا في حنانك، أرغب في واحدة من تلك الساعات التي تمنحنا فيها الحياة هدنة. اليوم أشعر بقلبي مرتاحا. نعم أنت محقة، فلنفكر في مساءات «إرمونوفيل»، أفكر بها دائما كي أجد الشجاعة اللازمة لبلوغ نهاية هذا الشهر.

اليوم جاء «فيفات» - وهو واحد من أصدقائي في جريدة «Combat» - ليتناول الغداء معي. أنت تعرفينه، التقيناه في «إرمونونفيل». إنه شخص في غاية اللطف وأنا أحبه. لقد أطلعني عما يحدث في الجريدة، وتغيير مالكها، وأخبار شريرة من مطبخ التحرير، إلخ. إنها نهاية قصة جميلة، وقد كانت حتما قصة جميلة. زد على ذلك أني كنت ولا أزل متعلقا بهذه الجريدة؛ فهي من الأشياء النادرة النقية التي تمكنت من إبداعها. من ناحية أخرى، يجدر أن تكون السيولة كاملة.

عدا ذلك، فقد ضحكنا، وشعرت أنني مرتاح بقضاء هذه الأوقات مع رجل عادي. ذاك النوع من الرجال الذي إن أردت استقباله بحفاوة ووضعت له شريحة لحم على الغداء سيقول لك «في بيتنا لا نأكل سوى

المرق»، يمكنك تخيله. لكنني أبتسم بانقطاع لأني أحب هذا الصديق الشجاع. أتعلمين، آمل حقا أن أصبح زاهدا، فأنا أتقيح فضيلة.

عزيزتي، حبيبتي الرقيقة، كيف حالك الآن؟ أين أنت؟ ألم تملّي من رسائل هذا الرجل البعيد والمخيّب للآمال؟ هل مازلت تحبينني؟ أوه، لدي رغبة عارمة في سماعك تقولينها. سيحدث ذلك قريبا. وفي الانتظار، لا أريد سوى أن أكون موقنا أن قلبك يتنفس ويعيش. اعتني بنفسك، فكري في صحتك، هذا كل ما يهم الآن. أُعد الأيام، يوما تلو الآخر، واليوم الأخير سيكون له وجهك.

لم أعمل جيدا اليوم بسبب زيارة «فيفات»، لكن في الليل استيقظت وراودتني بعض الأفكار التي دونتها، والتي تعطي طبعا أكثر حدة لما أريد كتابته. بعد ذلك عدت إلى النوم وأنا أفكر فيك.

اكتبي إن أمكنك ذلك يا قلبي العزيز، يا حبي الجميل. قُصّي عليّ تفاصيلك وتفاصيل قلبك، ولا تنسي هذا الذي يحبك وينتظرك بشوق بالغ. آه، أحيانا أتحرّق شوقا أمام طول الوقت، لكن ها نحن ذا، أليس كذلك؟ أشعر بك في حضني، وأشعر أن هذا المنفى قد انتهى. القبلات تمطر على وجهك العزيز. أراك غدا يا حبيبتي العزيزة، أيتها الرقيقة، أحبك.

أ.

32

الثلاثاء، الساعة السابعة مساء

كلمة سريعة كي لا تظلي، حبيبتي، دون رسالة مني. لقد عدت من «نيس – Nice» متعبا وأحمق بسبب هذا الزحام. لا أعلم إن كنت قادرا على تحمّل المدن مستقبلا؛ أشعر وأنا هناك أني أغص وأختنق. إنها مسألة تعوُّد. لقد قابلت صديقة لي لم أرها منذ خمسة عشر عاما. لم يكن لدينا الكثير لقوله، ستتزوج أو أن عليها أن تتزوج صحفيا أعرفه وأكن له تقديرا نسبيا، لكنه أخبرها أنه التقانا، أنا وأنت، في ليلة لدى «دولين» منذ ست سنوات[18]؛ وبهذه الكلمات تسلل إلى قلبي بعض الانتعاش، وعادت بي الذاكرة إلى صباح لذيذ من صباحات يونيو في شارع «فانو»[19]، وأنت قربي بجمالك وسعادتي حينها، عندما كنت أحبك في صمت.

شعرت أن رسالتك حزينة ومريضة. أنصتي لي، يجب قطعا أن يراك الطبيب. بمجرد وصول رسالتي سيكون عليك أن تتصلي بالطبيب كي تأخذي موعدا، وهذا أمر؛ إنه الأول من نوعه الذي يمليه نفاد صبري كي أراك معافاة. ستخبرينني لاحقا كل ما أخبرك به. أرجوك، حبيبتي، فكري بنا وفي حاجتنا العظيمة لأن نكون

(18) . أول ليلة يلتقي فيها "ألبير كامو" "ماريا".

(19) . مكان الشقة التي استأجرها من "أندريه جيد" كي يلتقي "ماريا".

بكامل قوتنا. لا تكتبي لي إن لم يكن بمقدورك ذلك، أسبوعان فقط يفرقاننا، لكن أرجو أن تعتني بنفسك وتعالجيها. ما تعانينه ليس طبيعيا ويجب أن تستشيري طبيبا.

سأكتب لك غدا، لكن لا تكوني خائبة، لا ترجيني كي أحبك. فأنا أحبك وأنتظرك. أنا مريض بغيابك أكثر من أي شيء آخر. أحتاجك، أحتاجك بشدة وأقبّلك، آه حبيبتي. أشد على يدك مجددا وأرجوك، كل هذا سينتهي. قاومي، فقريبا سترتمين بين ذراعيّ. أضع لك هنا كامل حبي، وأقبّلك بجنون.

أ.

33

2 مارس (1951)

الجمعة، الساعة الثالثة بعد الزوال

حبيبتي، أكتب لك كلمة صغيرة سأرسلها إلى «غراس» لتتلقيها غدا. كان من المنعش أن أسمعك تضحكين وتتكلمين في الهاتف منذ قليل. إذن يوم الخامس عشر سيكون اليوم الموعود، هذا ما آمله على الأقل. أرجو أيضا أن تكون ديدمومتي متحمسة. تعلمين أن يوم 8 لم يكن موعدا مؤكدا.

هذا الصباح، بينما كنت بصدد مراجعة ما كتبت، شعرت أنني بقليل من الحظ قد أفرغ من العمل يوم الثلاثاء، لكن أولا عليّ أن أعزز الشكل (وأنا متكاسل عن ذلك)، وثانيا على الكتابة أن تتدفق من تلقاء ذاتها. في الحقيقة سأكون فرغت من الكتابة بحلول الخميس أو الجمعة.

يوم السبت أو الأحد سأعدل قليلا في المقدمة. الإثنين أو الثلاثاء سأعيد قراءة النصوص المرقونة، والتي يفترض أن تصلني وسط هذا الأسبوع... لقد كانت توقعاتي صحيحة إذن، إلا أنني أُنهي كل هذا بلا اندفاع. رغبتي هي أن أتخلص من كل شيء وأعود، كحصان يشتمّ رائحة العودة إلى الإسطبل (اعذري لي هذا التشبيه المؤسف). كما تعلمين، الأيام الأخيرة هي الأصعب. وها أنا أصطكّ شوقا، ثم

أتخيلنا في اللحظة التي سنوصد فيها باب غرفتك.

من ناحية أخرى، من الجيد أني اتصلت بك، بما أنك تسلبينني أعذاري. سماعك في المذياع يزيد من شوقي، وزد على ذلك أن هذه الأميرة لا تكلمني. ليتك الآن ممددة بقربي. أرجوك، اعتني في فكرك بهذا اليوم الذي سنلتقي فيه. حينها لن أبارحك، أظن أني سألتهمك وأقوم بعضّك دون أن أؤلمك، دون أن أفترق عنك، إلى أن تتخلليني وتصبحي داخلي لأتغذى على جلدك الشهيّ... فلأتوقف عن هذا.

. الطقس بارد جدا. أرتدي قميصا ذا ياقة مصنوعا من الصوف. كم أن ذلك غبي، فأنا أكتب جزءا يتحدث عن الظهيرة المشمسة، واليونان الشيقة، لكني أملك في قلبي وميض ضوء قادم من الأمس، وكل الأيام التي يلفّها بريقك. أيام السعادة. أنا بمفردي تماما في الفندق، آكل وجباتي في غرفة منفردة، يوجد حولي الكثير من الصمت، والكثير من الفراغ، كأن العالم يهيئني لوقت الضحك، والفرحة، والأجساد المتواطئة، والحب العاصف.

أُقبّلك يا ضوئي، يا صمتي، ويا عصفي، أفتح فمك الصغير كي أنهل منه. أحبيني، أبقني داخل دفئك، الأيام سوف تمضي وستصل الفرحة كلها دفعة واحدة. كم أحبك، أحبك وأنتظرك، كاملة.

أ.

(تجدين مع الرسالة طابعين بريديين من اليابان. نعم، لقد مرت سبع سنوات، ولكنك لا تزالين - يا حبي الأول- طفلتي الصغيرة.)

34

(11 مارس 1951)

الأحد، الساعة الحادية عشر

حبيبتي، هذه رسالتي الأخيرة قبل أن أكون معك يوم الخميس. ستتلقينها يوم الثلاثاء حتما. أنا آسف قليلا لأنني لم أتبع حدسي وأنصرف يوم الأربعاء الفارط، ربما ليس من السيء جدا أن أسترخي وأستمتع بهذه الأيام الفارغة والمرتاحة. أنا أطوف، أقبع كسولا في سريري، أطالع بلا ذهن متابع، أتجول كي أجد جسدي. الشيء الوحيد المؤسف هو أنها أمطرت بالأمس، ومازالت تمطر دون توقف.

هذا المساء، سأشاهد مباراة كرة قدم في «نيس» وأظن أنها ستصبح مباراة في السباحة بالنظر إلى هذا الطقس. سأذهب رفقة ساعي البريد في «كابري» والحلاق من «غراس – Grasse»؛ وهم عشاق حقيقيون لكرة القدم. كما ترين، أنا أقتل الوقت الذي يفرقني عنك. سأعيد مراجعة ديدمومة بعناية، ذلك أن لقاءنا المستعجل يعتمد على رغبتها. غدا، سأزور طبيب الأسنان لمرة أخيرة كي أبدو لائقا. الثلاثاء توضيب الحقائب، والأربعاء فجرا سأكون في الطريق إليك.

لقد شعرت بالحزن والشجن كأنني زمن. وكي تمضي الأيام

وأقترب من الخميس البهيّ في باريس، يتفجر بعض الضوء من أعماق قلبي. أرجو أن يتوافق الفجر الذي حدثتني عنه في رسالتك الحزينة مع فجري أنا. علينا أن ننصاع لأهواء الأميرة؛ لطالما كان الأشخاص الملكيون على هذه الشاكلة. لكن المهم، هو أن نمتلك يومين بأكملهما لنا فقط؛ كي نثرثر، أو نصمت، أو نتعرف على بعضنا البعض للمرة المئة منذ سبع سنين، ودائما داخل الإعجاب والذهول.

حبيبتي العزيزة، فاتنتي، شجني، ساعات فقط تفصلني عنك، ألثم ثغركِ في كل ساعة منها، وفي القبلة الأخيرة سينفتح فاهك من أجلي أيتها الانتصار.

أ.

35

30 يوليو (1951)

الإثنين، الساعة العاشرة صباحا

ستكون هذه الرسالة في انتظارك على الضفة الأخرى من المحيط. لم أعتد الفراق بعد. وهذا الصباح خاصة أستيقظ وبي شعور أن روحي عالقة. لكنني، وبعد قضاء ليلتين مريحتين، أشعر أنني مسترخٍ. الهواء هنا يساعدني على النوم، وهو كل ما أرغب به إلى أن يحين سبتمبر. لا يعجبني هذا البلد على جماله، أما بالنسبة إلى سكانه، فقد تجولت بالأمس ورأيت عددا منهم وكانوا قبيحين، حتى إنني صرت أضحك وأنا أنظر إليهم، وتخيلتك هنا تضحكين معي (كم أحب ضحكاتك المستمتعة). لدي شيء آخر هنا في هذا البلد، لكنني سأطلعك عليه لاحقا.

أقوم الآن بقراءة «سانت بوف - Sainte beuve»، أحوم وأتسكع مع ابنتي. أفكر في التجول قليلا.

لكن، من الأفضل أن تتخيليني الآن وأنا نصف مغمض العينين، بجسمي النعسان، كحيوان يدخل في بياته. أيقظيني عندما يحل سبتمبر. هذه طريقتي كي أحمي نفسي من الاكتئاب الذي يلي الانتهاء من كتابة عمل، هذا الاكتئاب الذي لا يفصح عن نفسه صراحة. أنا

أخشى الفراغ وأعتقد أني عملت بجد في الآونة الأخيرة؛ ما يجعل هذا الفراغ أكبر حتى...

تلقيت كتابين لـ «باز – Paz»[20]، الذي يملك ما يكفي من الطيبة كي يلقبني بـ «Testigo de la libertad – شاهد الحرية». ستذكّرينه على كل حال أنني لست شاهدا على كل الحريات. كتاب من الكتابين كان شعرا، وقد وجدت فيه قصيدة جميلة جدا أخذتني رغبة [جامحة] في ترجمتها. لديه حتما هذا النوع من الموهبة التي أحبها.

أما أنت فلديك هذا القلب الذي يملؤني، أجمع الصور في مخيلتي عن هذه الرحلة القصيرة معك، ويذهلني لطفك وصبرك. لماذا أحببتُ ذاك المساء كثيرا؟ لأنني شعرت أني أعيش معك داخل الاعتراف الكامل. أفكر في هذا الوجه الرقيق، وتَيْنَيْك العينين الفخورتين، وهذا الجسد المرغوب.

حبيبتي الغالية، كوني سعيدة مطلة على المحيط، ذوبي في الأمواج ولا شيء سواها، سأتركك كي تنامي لشهر على الرمال النديّة، وسآتي لإيقاظك بدوري. كل ما أريده هو أن تقرئي في هذه الرسالة اليقين الذي أنت في حاجته، وتفكيري الدائم [فيك]، والحنان، والحب، ولا نهائية قدرتي على الاستيعاب حيث أعيش معك. «شار» كان محقا دون أن يعلم إلى أي درجة كان محقا. يوجد أشخاص يتأبّون على المقارنة. أنا محظوظ؛ إذ لا يمكن أن يكون هذا استحقاقا، أن يكون لدي هذا الرفيق المذهل الذي سأفتقده لمدة شهر في كل يوم من

(20). "أوكتافيو باز"، شاعر مكسيكي.

الأيام، وفي كل ليلة من الليالي.

نامي، كُلِي، عيشي كالحيوانات، وكوني سعيدة بنفسك وبالحياة. في انتظارنا كل هذه الأشياء كي نقوم بها ونحبها معا. أقبل أبريل ومايو وعينيك المليئة بالمحيط... حدثيني عن البحر.

أ.

سلامي إلى عريس البحر الراقص[21]

(21). Pierre Reynal.

36

الساعة الحادية عشر

إنها تمطر بينما أنتظر رسالتك. لقد كنت في حالة غريبة بالأمس، وكتبت لك رسالة غبية حتما. لكنني لم أكن في حالة طبيعية. صدقيني، كاد يغمى عليّ في المساء، لكن من الجيد أنه لم يكن هناك أحد كي يلاحظ؛ حيث كنت أتجول في الحديقة، بعد العشاء، مدخنا، متأملا الليل حتى صارت النجوم متشابكة. كان لدي متسع من الوقت فقط كي أصعد، أعبر الرواق، وأرتمي على سريري. بعد بضع دقائق عادت الحياة لتدب فيّ، وعدت منتعشا. هذا الصباح استيقظت وأنا أشعر أنا حالتي ممتازة.

ساعي البريد غادر للتو ولم تكن بحوزته رسالة منك. أنا حتما لم أعد أفهم، لا بد أن الرسالة التي وضعت لك فيها عنواني قد ضاعت. أفضّل أن أفكر في مثل هذه التبريرات. الأسوأ من ذلك هو أن جزءا مؤلما من هذا الحب، جزء اعتقدت أني انتصرت عليه منذ زمن، عاد ليلازمني. هذه الرسالة الأولى مهمة جدا، ومن الطبيعي أن تقلّ الرسائل بعدها. أما هذه الرسالة بالذات، فقد انتظرتها حقا.

أريد أن أحدثك عن شيء آخر، لكني أريد أيضا أن أكتب لك

مطولا، بيْد أني لا أشعر أني قادر إلا على تكرار نفس الأشياء. اعذريني لكوني بهذا الغباء، فمنذ أشهر أصبحت حياتي ممتزجة بحياتك. هذا الفراق المفاجئ تركني مفرغا، وهذا الصمت الذي لم أكن أتوقعه يشتتني. اعذري هذا الأبله الذي صرته. أرجو أن يكون المحيط قد أحسن استقبالك، ولكن حتى عباب الأطلسي لن يكون بمقدوره أن يحملك كما يحملك حبي. أحبك يا بعيدتي، أقبِّلك، بحزن ضئيل، لكن بكل ما أملك من رغبة في حضورك.

أ.

37

15 أغسطس 1951

البريد مغلق هذا الظهر، أعياد سعيدة، أخلص الأماني لماريّتي، أتحرق شوقا للقاء.

ألبير

38

20 نوفمبر 1951

الثلاثاء، الساعة الثالثة بعد الزوال[22]

حبيبتي الغالية،

أكتب لك، على حِجري وأنا جالس قرب أمي التي تحظى ببعض الراحة الآن. التقيتها بالأمس، بعد رحلة متعبة وسفر عاصف بكل ما في الكلمة من معنى، ووجدت أنهم أدخلوها إلى المصحة. لم أفارقها إلا من أجل النوم. أُجريت العملية هذا الصباح، وسار كل شيء كما ينبغي. أخبرني الطبيب الجراح أنه سيكون بإمكانها العودة إلى بيتها بعد عدة أيام. كل ما عليها أن تفعله ببساطة هو أن ترتاح لمدة شهرين، وألا تتحرك مطلقا لشهر كامل كي يعود كل شيء إلى مكانه.

إنها تمطر، الطقس حزين منذ وصولي، أما الأكثر إحزانا فهو المعاناة الشجاعة التي تمر بها أمي. بالأمس، ومصباح ليلي بالكاد يضيء الغرفة، جلسنا أنا وأخي، متقابليْن على طرفي سريرها كي نسمعها داخل صمتنا تئن قليلا، لقد كانت ابنتنا الصغيرة المريضة.

أفكر بك. المطر يغرق قلبي ويغرق المدينة حرفيا. وفي ظل هذه الرطوبة الغامرة، توجد فقط نار واحدة، ناران أو ثلاث نيران قديمة،

(22). أجرت أمُّ "ألبير كامو" عملية جراحية، وقد أقام "ألبير" بالجزائر لدى أخيه "لوسيان".

صامدة، سرية، ومقاومة. أنت هناك، أفكر بحب وامتنان في دفئك قربي، وفي كل الظروف أحبك، وأشعر أن داخلي بخير إذ لا شيء يشغلني هذه اللحظة سوى أمر وحيد. لكن، عندما أعود بالتفكير إلى باريس، أو إلى كتبي أشعر بالغثيان. سأحاول أن أفسر حين أكتب لك لاحقا بغرض الترفيه، وأن أفسر لنفسي هذا الجنون الذي أثقل به كاهلك. أعلم على الأقل، والآن أفضل من أي وقت مضى، أن حبنا ليس مظهرا. أقبّلك تسعا وعشرين[23] قبلة، سيدتي اليافعة، رفيقة السلاح الصغيرة، أيتها السوداء خاصتي، أقبلك وأنتظرك، مرة أخرى بكل يقين العالم.

أ.

(23) . عيد ميلاد "ماريا" التاسع والعشرين يوم 21 نوفمبر؛ أي في اليوم الموالي لكتابة هذه الرسالة.

39

22 نوفمبر 1951

الخميس، الساعة الثالثة بعد الزوال

حبيبتي الغالية،

مازلت في غرفة أمي في المصحة، ومازلت أكتب لك على حِجري، أرجو أن يعود أخي ويأتيني برسالة منك لأنني أعاني بعيدا عنك، وأشعر أنني مبتور منذ غادرتك. حالة أمي جيدة، لم تعد بها حمّى، والطبيب الجرّاح يعتقد أن كل شيء سيكون أفضل. أنا الآن مطمئنّ حقا فيما يخصّها. لكنني سعيد بقدومي إلى هنا، أولا لأن مجيئي جعلها تطمئن، وثانيا كي أعدّ لها قبل أن أغادر ترتيبات فترة النقاهة بما يلائم راحتها. ألوم نفسي على إهمالها في السنوات الأخيرة. كم يبدو أن المرض يجعل المرء أنانيا، فطوال هذه السنة من العلاج لم أفكر سوى في اللحظي والآني؛ لذلك يجدر بي، على الأقل، أن أصلح كل هذا وأن أجعل من حياة أمي اليومية حياة أكثر لطفا.

مازال المطر متواصلا، كل ما ألمسه مبلل، كما أنني لا أتنفس جيدا هنا وأشعر أنني رخو. للجزائر هذا المناخ الذي يجب أن يتأقلم المرء معه، لكنني أتداوى بالاستماع إلى الأسطوانات؛ وهذا جيد.

معنوياتي على الأقل مرتفعة الآن؛ حيث أشعر أني كنت مجنونا

قليلا في كل الأيام السابقة. يوجد الكثير من الكبرياء في رد فعلي، لكني أيضا لم أعتد يوما على الأجواء الأدبية، والاستخفاف الباريسي، وكل ما يسمح بأفعال وأقوال بهذه الفظاعة. أحد الأسباب التي تجعلني أعيش بمنأى [عن كل هذا]، هو معرفتي بعدم قدرتي على الاستخفاف بأشياء بعينها. لذلك أخاف أن تجرحني الخفة ببساطة وبدون جدوى. وحتى أضعك في إطار ما أقول، فاعلمي أني تلقيت رسالة من «باولز» يخبرني فيها أنه لم يكن يريد... إلخ، ورسالة أخرى من «باتي» يقول إنه علم من «باولز» أني أطالب بحق الردّ، وطلب مني ألا أستعمل الرسالة وألا آتي على ذكر وجودها من الأساس. لن نجد طريقة أفضل وأكثر عارا كي نخون الجميع. هذه المرة لم أقم حتى بالرد.

ربما يوجد سبب آخر لاضطرابي، سبب أفظع وأكثر عمقا؛ إنه ذاك التردد الدائم أمام ما لديّ لأقوله ولأقوم به. تأتي بعض الأيام التي أرغب فيها ألا يكون لدي شيء لقوله أو لفعله.

لا طائل من هذه الرسالة، أنا فقط حزين في هذه اللحظة، أنت تعيشين داخلي، أشعر بغيابك كحرقة، وقد حدّثت نفسي منذ قليل بينما كنت أتناول الغداء في الكافيتيريا التي كنت آتي إليها وأنا شاب، أنني لن أستطيع أن أتخلى عنك، في حياتي وفي حياة كل يوم من أيامي. أفتقدك، في قمة أوقات الحنين، والوحدة، والحب الملتهب. والآن أفتقدك أيضا، في الصباح، في النزهات، أمام [محلات بيع] ربطات العنق الجديدة، مع الجماهير، وفي قوائم [مأكولات] المطاعم، في وجوه الناس على الطريق، وفي السلسلة الحية لمشاغل الحياة

ومباهجها. اكتبي لي على الأقل حبيبتي.

لا تتركيني وحيدا في هذه المدينة المبللة، أحيانا يصير الماضي ثقيلا هنا. أرجوك، قُصّي عليّ أحداث يومك، أخبريني أن غيابي أراحك قليلا من بعض الملل الغبي الذي أجلبه معي، أخبريني أنك بخير وأن قلبك سعيد. عند عودتي، يجب أن نفكر مجددا في الفرحة التي يجلبها حبنا. كم جميل أن نتقاسم في هذه المرحلة آلامنا، وأن يكون لدينا في نفس الوقت منبع لا ينتهي من الضحك والمتع؛ وهو ما أفتقده الآن جدا. إلى اللقاء يا وجهي الصبوح، ويا ثغري العزيز، أقبّلك، وأحبك، وأنتظرك، وأرتاح فيك. اكتبي لي وأحبيني كما أحبك بلا انقطاع.

أ.

7، بولفار سانت ساينس، الجزائر

40

الإثنين (11 فبراير 1952)

أنا طريح الفراش منذ يوم السبت. أصبت بحمى قوية وألم في الحنجرة. «بروي» يعتقد أنه احتقان حاد، ويظن أن ثلاثة أيام أو أربعة في السرير مع بعض أدوية الطاقة ستكون كافية.

أنا حزين جدا عزيزتي، فالمرض يقف دائما ضدنا. لكن أرجو ألا تكون هذه الأيام بالنسبة إليك أياما مهدورة؛ اخرجي، شاهدي أشياء جديدة، وأحبيني عبر الصعاب والجدران. أقبّلك من كل قلبي.

أ.

41

(11 فبراير 1952)

الإثنين، منتصف الليل

كم غريب أن أجد نفسي ممددا ومحاصرا في هذه الغرفة المعزولة بلا أخبار عنك، دون أن أعلم ماذا تفعلين الآن، أو فيم تفكّرين «ترى، أي شيء تفعله الآن وهي هناك؟»، هذا ما أكرر قوله لنفسي ولا مِن مُجيب. أفترض أنك حزينة، وأنا آسف لذلك. إلى حدود هذا المساء، كانت هذه الأفكار تراودني مصحوبة بحمّى وصداع فظيعين، وقد حرمني ذلك حساسيتي. لكن، ومنذ المساء، انخفضت الحرارة ولم أعد أعاني بسبب الألم في رأسي.

قلبي حزين، فأنا أريد أن أنسحب من ذاك المكان، وأن أتنفس مع الهواء المنعش يقينَ وجودك وقدرتي على ملامستك. أشعر أني عالق هنا، أني واقع في فخ مقيت. لكن كل هذا سيمرّ، وإن أنا واضبت على تنفيذ النصائح، فذلك لأني أريد أن أعود إليك سريعا.

شرعت في قراءة «فوكنر– Faulkner»، لكن الإنجليزية أتعبتني سريعا، كما أن النعاس الغبي الذي يسببه هذا الدواء يجعلني أغفو؛ وهو ليس بالأمر السيئ في الحقيقة. أملي هو أن أكون معافى من الحمّى غدا، وأن أتمكن من الخروج يوم الأربعاء أو الخميس على أبعد

تقدير. إلى حينها، فكري بي ولا تكوني حزينة جدا. أنا فعلا مشتاق للقائك، وأعيد داخلي مرة تلو أخرى كل حنان وحب العالم. إلى اللقاء قريبا جدا، كم أن الحمّى لطيفة بقربك، أقبّلك من بعيد لكي لا أنقل إليك الميكروبات، ولكني أقبّلك من كل قلبي.

أ.

11 أبريل (1952)

الخميس، الساعة العاشرة صباحا

لقد أنهيت للتو مكالمتي معك ومازال في أذني صوتك الغائم، أنا آسف لأنني أيقظتك، لكن السبب كان مهما؛ فأنا سأذهب لآكل مرق السمك الشهير في الجزر بعد قليل في عرض البحر. سأقضي ليلتي في «كان» حتى أتمكن من أخذ القطار غدا. الطقس رائع جدا والهواء عليل، وهذا ما جعل «ميشيل» يتصل بي ليقترح برنامج اليوم؛ وقد وافقت بكل حماس.

غدا مساء سأكون في «سان ريمي – Sain Rémy»، والثلاثاء سأكون في طريقي إليك. أتفهم غضبك حبيبتي العزيزة أمام هذه البروفات عديمة الجدوى، لكن هذه الدوامة لا تبدو لي سيئة جدا. الأربعاء ستخرجين من الشرنقة فراشة سوداء فخمة وأنيقة، وسأمتع بك بصري وحيدا في ركني، وسأحبك.

أما أنا فأحوالي جيدة، قررت بعد أن فرغت من بريد اليوم أنني لن أعيش سوى مستمتعا، ولن أقبل بغير هذه الأيام المشرقة. آه نسيت أن أخبرك، أنا ذهبي، فاتح، أضحك وأرحب بكل ما يجلبه الحاضر. في طريق العودة سأحسم أمر قراراتي، أما الآن فأنا أنعم بالراهن، بلا

قواعد كما يقولون هنا.

لكني أفكر بك، حبيبتي، صغيرتي. وأنا أثق بك، وبنجاحك، وبهذا الانتصار القادم. ليس بإمكانك أن تتنبئي بذلك، لكن اعلمي أني أحبك، أنتظرك، وأُقبِّل وجهك المتكدر النعس، برقة ورغبة.

أ.

43

6 أبريل 1952

الأحد، الساعة الحادية عشر

سررت جدا برسالتك التي وردتني بالأمس. لقد أدفأت جيبي طوال اليوم. كما أنك ساعدتني جدا، وهذا مؤكد، وبطريقة دائمة؛ ولكم أنا في حاجة إلى ذلك. يتملكني شك، ويتملكني عمًى لا أقدر معه على رؤية نفسي، ولا أدري ما الذي يجعلني ممنوعا، وشاغرا. هل ننقذ حياة الناس؟ ربما. لكن يبدو لي أحيانا أننا لا نقوم بشيء سوى تدميرها، أو إنقاصها وأذيتها رغم أنه بإمكان هذه الحيوات، كما حياتك، ألا تكون في حاجة إلى ذلك، أن تكون مكتملة ومليئة.

كما ترين، أنا غبي أدلّي قدميّ، وأحيانا أدلي أشياء أخرى، بالأمس، مثلا، دلّيتُ ثقل العالم، وعدم القدرة على خلق أي شيء، رغم أن الطقس جميل، ورغم شعوري أني في حالة جسدية جيدة. على كل حال، على المرء أن يهتم بصحته الجسدية أولا، والبقية تأتي. لا تقلقي عليّ، اعملي جيدا وانتصري. منذ قليل جاء «ميشيل» (غاليمار) كي يصحبني إلى «كان» لنقوم بجولة على المركب ونتناول الغداء في الجزر. سأرى البحر وسألمسه. كم أنا سعيد بذلك.

شيء آخر، سأعود في القطار يوم 15، وهو ما سيصادف يوم ثلاثاء.

لكني سأقضي أيام السبت والأحد والإثنين لدى أصدقاء من «سان ريمي بروفانس». بالنسبة إلى يوم الجمعة فسيتعين علي أن أقضي الليلة في «كان»، لذا لا تكتبي لي على عنوان «كابري» ابتداء من الأربعاء مثلا. يمكنك أن تكتبي بالطبع يوم الأربعاء، لكن أي رسالة سترسلينها بعد ذلك قد تصل يوم الجمعة مساء، وقد لا أكون هناك لكي أستلمها. ولكن، من دون شك، سأهاتفك.

أطالع بريدي، يبلغ عدد الرسائل حوالي ستين رسالة، قرأت بعضها، وتبقى منها حوالي الـ 15، وعليّ أن آخذ بعض القرارات فيما يخصها. هذه المراسلات، التي تكون في الغالب بدون جدوى، تأكل الكثير من وقتي. فيما عدى ذلك، سأضع خطة للحياة وللعمل.

إن تمكنت من التفكير في خطة، فهذه الرحلة ستصبح مجدية. أما بعد، فإن جمال هذا البلد نابض داخلي. شيء آخر ينبض داخلي ويحرقني، إنه جمالك، جمال جسدك وقلبك، ورقّتك العزيزة، أفراحنا، ومتعتنا، والذكاء الذي نعيشه. شكرا حبيبتي العزيزة، شكرا لعذوبتك ولصبرك على حبي. أحبك أيضا بكلّ ما فيّ ودون تحفظ. أتدحرج في ملاءات من القُبل، حبيبتي النابضة، ابتسامتي الجميلة، أنتظرك.

أ.

44

6 يونيو 1952

أرجو أن يحميك حبي في هذه السنة الثامنة من سفرنا. أرسل إليك كل رقتي وكل امتناني.

(بطاقة بريدية مرفقة بباقة ورد)

45

الإثنين (9 فبراير 1953)

حبيبتي العزيزة،

جعلتني رسالتك فرحا سعيدا؛ سعيد لأنك منعشة لقلبي، وفرح لأن مدينتي فتحت لك أسرارها وورودها. قضيت الأمس مفكرا فيك، واعتراني الندم لعدم انتظارك على ربوة «أبولو – Apollon»؛ حيث بالإمكان أن نتنفس كل مجد العالم. ستستمتعين في «وهران»، أنا واثق من ذلك، كما أن هذه الرحلة ستضيء ركنا صغيرا من ذاكرتك.

بالنسبة إلي، برحيلك حلت العتمة، ولا داعي لأقول إن البرد والثلج عادا ليغمرا المدينة. وعلى عكس ذلك، فالسماء هذا الصباح تتلألأ زرقاء فوق السطوح البيضاء. لكنني أشعر بقتامة بسبب هذا الشتاء الذي لا ينتهي، وبسبب عجزي على العمل من جديد. في انتظار الأربعاء.

لا أرغب في شيء وأنا هنا غير إرسال كلمة من الرقة، وأخشى ألا تكوني في «الغراند أوتيل» وأن تضيع رسالتي. إن تلقيتها، ستدركين أنك وبينما تأخذين الطائرة كي تعودي ستكونين منتظرة بكل حب الكون وبكل نفاد صبر. ستجلبين لي الشمس. أقبِّلك صغيرتي، يا وردة الجزائر.

أ.

46

4 أغسطس 1953

الثلاثاء، الساعة الحادية عشر ليلا

حبيبتي العزيزة،

لا أتوقع رسالة منك قبل يوم الخميس، وذلك في أقرب تقدير، ورغم ذلك فالزمن يثقل عليّ. مر أسبوع على فراقنا، وها أنا أقضي هذه الليلة حزينا، ينفد صبري كي أعرف وكي أتمكن من رؤيتك في خيالي، وبي رغبة أيضا في الإحساس بحبك.

أنا الآن مرابط في غرفتي التي لا أغادرها أبدا. الطقس مريع. المناخ هنا مبلل وهادئ؛ لذلك يرسلون الذين يعانون من العصبية إلى مثل هذا المناخ كي يهدؤوا قليلا. أما فيما يعود إلي، لكنت فضلت البحر وهواء المرتفعات، فهما يقومان بخفقي قليلا، ويساعداني على الهرب من الأجواء التي أعيش فيها.

لكنني أخيرا أنام بطريقة أفضل، أستغل هذا الهدوء وقلة الحركة كي أشرع في العمل. فرغت من كتابة النص الذي سألقيه في «سان إيتيان – Saint Etienne»[24]. أعدت أيضا أجزاء من النوفيلا وقد استعنت بنصائحك. الجندي الذي ذكرته في البداية أصبح له طابع

(24) . **الخبز والحرية**، مداخلة ألقاها "كامو" في بورصة العمل في "سان إيتيان" بتاريخ 10 ماي 1953.

رمزي أكبر بفضل التذكير به في بقية النص. أعدت المقطع «النائم»، وجعلت الزوج أكثر تأثيرا بفضل سرّ صغير. وفي النهاية، أعدت كتابة الجزء الذي تكون فيه المرأة قبالة الليل[25].

أرسلت رسائلي البريدية، وغدا سأستغل هذا الحنين الذي يغمرني لمحاولة كتابة نص حول البحر الذي ما أنفك أتكلم عنه منذ زمن، والذي يجب أن ينهي مجموعة «**الصيف**»[26].

عدا ذلك أقوم ببعض المطالعة. انتهيت من **مراسلات تولستوي**، وأنهيت تقريبا كتاب [الكاتب الإسباني] «**فيريرو – F. Ferreiro**»، وأتعلم بعض الإسبانية (ينقصني الكثير فيما يتعلق بالنحو). كما ترين لست عاطلا، أقوم بالتنزه لا لشيء سوى للسير فقط. هذا البلد مهذب للغاية، وأرق مما يلزمني. الضوء، أو الريح، أو الهواء القادم من الأعالي هو المفضّل لديّ. وها أنا بالأعلى أتبع حدسي. فيما عدا ذلك لا شيء تغير، حتى إن الحياة تضعني داخل هذا الحزن الثابت. وفي الوقت ذاته، تغمرني رغبة لا تقاوم في حياة سعيدة وحرة.

ووسط كل هذا، لا أتوقف عن التفكير فيك بكل الحنوّ والامتنان. منذ مدة في «إرمونونفيل» تركتني بقلب مليء بالرقة. أظن أنني قمت حينها بتخزين القوة التي تلزمني كي أقاوم حياتي الراهنة. أحاول أن أتخيلك أمام البحر، ولكني لا أستطيع. تبدين بعيدة وضائعة في الرذاذ. نادني بسرعة كي أجدك. احكي لي، حدثيني عن برنامجك المتعلق بالأخلاق المثالية، وبعد ذلك أخبرني كيف تقدرين

---

(25) . نص أضيف إلى مجموعة "الصيف".

(26) . "البحر من مكان أقرب"، نص في مجموعة "الصيف".

على كل هذا الحب. أقبّلك أيتها الرقيقة العزيزة والجميلة... أترين؟ اعتقدت أني أغفو قرب هذه البحيرة الجالبة للنعاس، وها أنت ذي توقظينني. أحبك.

«بورج – Bourg»

47

30 ديسمبر 1953

حبيبتي العزيزة،

لقد تركتك بلا أخبار عني منذ أيام، وأنا أيضا لا أملك أخبارا عنك لأني لم أستطع أن أذهب إلى الجزائر. الوضع تفاقم هنا، لدرجة أنه عليّ أن أراقب «فرانسين» بطريقة دائمة. بالأمس تركتها لثانية بمفردها، فأسرعتْ إلى الشرفة، ولو لم أتمكن من إمساكها في اللحظة الأخيرة لكانت ألقت بنفسها. بالطبع هي حالة انهيار، لو كانت أفضل لما فعلتْ ذلك. زارنا الطبيب هذا الصباح وأكد لي أن فترة تأزم حالتها ستنتهي قريبا، ثم بعد ذلك ستواصل علاجا بسيطا. وفي الانتظار يجب أن أراقبها. نتناوب أنا وأختها على العناية بها، حتى في الليل... كان عليّ أن أذهب إلى الجزائر [العاصمة] حيث كل العائلة في انتظاري، كما كان عليّ أن أذهب إلى مصر؛ فقد تم الإعلان عن مواعيد محاضراتي هناك، كم ذلك مزعج، لا بدّ أن «جان غرونييه – Jean Grenier» غاضب مني الآن. لكن ما عساي أفعل؟ لم يكن الخيار بيدي.

سأنتظر هنا في «وهران» إلى أن تهدأ حالتها، ثم سأعود بها إلى

باريس كي تتابع حالتها لدى طبيب بصفة جدية. في الأثناء، سيبقى الأطفال هنا في «وهران»، أما خالتهم فستأتي معي دون شك.

لن أراك إذن في الجزائر، ولا في باريس في الـ 4 من الشهر، سأذهب إلى هناك في الـ 10 منه، حينها سنلتقي. لا تقلقي وقومي بعملك بهدوء. سأتابع بريدي القادم إلى الجزائر من هنا، وسأتلقى أخيرا أخبارك. بإمكانك أن تكتبي لي أيضا على هذا العنوان: 65، شارع الجنرال لوكليرك (rue du Général-Leclerc, 65) لكن لتبسيط الأمور، اكتبي اسم «بيير» على ظهر الرسالة.

أريد أن أخبرك أيضا أني أفتقدك، لا بد أنك تتخيلين ذلك دون أن اضطر لقوله. أشعر بوحدة فظيعة مع كل مسؤولياتي وحظي العاثر. الحياة تصير أشقى وأشقى يوما بعد آخر، ويبدو المستقبل قاتما. اعتني لي بقلبك وبحياتنا الحقيقية والخصبة التي أستمد منها قوتي دائما. واعذريني لتعتيم أجوائك اللطيفة في الجزائر. أرسل إليك أمانيّ بأن تُبقي هذا الوجه السعيد الذي يحث كل هؤلاء الذين يحبونك على العيش. إلى اللقاء، أتحرق شوقا للقائك، وأشعر أني محاط بظلال متوحشة بينها تناديك غريزتي بكل عنف.

48

(16 يوليو 1954)

الجمعة صباحا

حبيبتي العزيزة،

أكتب لك هذه الكلمة كي لا ينتهي أسبوعك بدوني. أمضيت يوم مغادرتك في تحضير رحيل آخر، وقد جرى في ظروف طيبة، ولكنه كان متعبا في الليل وباريس في حلة الـ 14 من يوليو[27]. في اليوم اللاحق، وبذلك أعني الأمس، حضّرت تحضيرا خفيفا لسفري.

لكني عندما عدت للقاء الطفلين بعد الظهر، وجدت «كاترينتي» متألمة ومريضة، بلغت حرارتها 39 درجة؛ لذلك أرجأت رحيلي في اللحظة الأخيرة.

بقدر ما تشرع عائلة زوجتي في الركض والتحرك داخل البيت منذ الساعة الثامنة صباحا، بقدر ما تجدينني متماسكا كي لا أطردهم. ها أنا ذا الآن في باريس، لا علم لي إلى متى سأظل هنا. سأكتب لك أو أتصل بك كي أعلمك بذهابي. لا تقلقي بشأن عودتي، لأني أفتقدك فقدا قاسيا.

(27). عيد وطني فرنسي، يُخلد ذكرى إنهاء الحكم الملكي المطلق، واقتحام سجن "الباستيل" الشهير يوم 14 يوليو 1789. (المُراجع)

لم يعد حبا، بل هو تبادل للدّم والروح. في هذه اللحظة أعلم أنه ليس عليك أن تفتقديني؛ إذ لديك مشاغل عالمية وشعبية كافية. لكن أرجو أن تتعذبي بحلول المساء. اعذري لي هذه الرسالة الرديئة، لكن قلبي ليس رديئا، كما أنه أراد أن يترك لك هذه الإشارة.

تحلي بالشجاعة وكوني واثقة، أيتها اللايدي القاتلة، اللايدي الإشاعة. أقبِّل يدك الملطخة وأحبك.

أ.

49

8 أكتوبر 1954

الجمعة، الساعة الثامنة والنصف مساء

أكتب لك حبيبتي، يا كل تفكيري، وأنا ممدد على السرير. انتابني زكام شديد حرمني شهيتي، وها أنا ذا أتعافى هنا داخل هذه الغرفة التي تطل على القناة، كم هو مشهد عذب. أنا سعيد لأني وحيد بعض الشيء، أقول لنفسي بما أني سأعود غدا، فإن هذه ستكون آخر استراحة لي. لقد ذهبت لرؤية مدينة «غون»، كما نصحتني، وها أنا الآن في مدينة «بورج» منذ الصباح. أستطيع أن أفهم لمَ تفضلين «غون»، فهي أكثر حياة وخفة على عكس «بورج» التي نعجب بها، بالطبع، لكنها مثقلة بالشجن الذي يجعل المرء يتثاءب. أنا أفضل «هولاندا»، وعلى وجه أخص الهولنديين. بمجرد عبور الحدود الهولندية نحو الأراضي البلجيكة، ومنذ لقاء أول عون حدود بلجيكي، تبدأ الخشونة ويبدأ الملل. شعب غريب، لقد وُلد حتما من العدم كي يتم تكليفه بأعمال ثقيلة. منذ رحيلي لم أرَ؛ سواء أفي هولاندا أم في بلجيكا وجها واحدا جميلا، عدا امرأة اسكتلندية تابعة للبعثة الثقافية الإنجليزية. لم أحب الشمال قطعا، وأنا حزين لأني لم أجد طريقة لأحبه. أتجدين كلمة حزين مبالغا فيها؟ هل تشكّين في ذلك؟ حسنا، أنا لم أقرأ أو أفعل شيئا طوال هذه الرحلة، لكني شاهدت

كثيرا بقلبي، ويبدو أني أحس بنكهة العمل والقدرة عليه تتصاعدان داخلي.

أحتاج بعض الأشياء، لا محالة، كي أتمكن من ذلك، وأرجو، رغم الحياة التي تنتظرني عند عودتي، أن أتمكن من ذلك.

أتحرق شوقا لإيجاد رسائلك في باريس، أفكر فيك وأنا هنا بطريقة عذبة وناعمة، وأحس بحبي، وبرغبتي (تفصل بيننا قرون من الزهد). بعض السفن تعبر القناة أسفل نافذتي، يقال إن هذا المَعْلم يعود للقرن السادس عشر، وأشعر في هذه اللحظة وأنا قريب جدا أني سعيد.

إلى اللقاء يا بقرتي الجميلة، أيتها السوداء، لا تنسي هذا الهولندي الطائر الذي يحبك، أحبيني وأحبي نفسك، فلا فرق، أقبّلك، ألعق جسمك، وأحبك.

أ.

50

25 نوفمبر 1954

«توران»

حبيبتي العزيزة،

ارتأيت أن أكتب لك اليوم إن أنا أردت أن تتلقي كلمة مني قبل أن تغادري نحو إفريقيتي. لقد غادرتُ باريس أول أمس مساء، وكنت سعيدا لمغادرتي، لكني كنت متعبا بالقدر الذي منعني من الإحساس بسعادتي. حاولت النوم وأنا في الطريق، لكن فكرة أنني عائد إلى إيطاليا أيقظتني من غفوتي. نحو الساعة السابعة صباحا اعتقدت أننا وصلنا، وقد أزحت الستار، فتملكتني نوبة ضحك، مشهد قطبي بديع ممتد أمامي.

إنها تثلج بندف كبيرة، ومازالت تثلج في «توران» حتى بعد مرور ساعتين، وطوال الأمس. ذهبت، إذن، لزيارة المعرض المصري؛ الشيء الوحيد المتعلق بالفن في هذه المدينة مما يستحق العناء. المومياوات كانت مجمدة، لابد أنها تحلم مثلي برمالها الساخنة.

كان نزول الثلج متواصلا حتى حين ذهبت لزيارة البيت الذي فقد فيه «نيتشه – Nietzsche» صوابه بعد أن فرغ من أعماله الأخيرة، ثم عدت بعد ذلك مثبط العزيمة. «جنوة – Gennes» و«روما – Rome» أفضل بالنسبة إليَّ؛ إذ يوجد على الأقل ذلك اللطف الإيطالي

الذي لطالما أنعشني. لكن ها نحن ذا داخل المزاج الفرنسي السيء الذي لا حدود له. لا بد أن «توران» مدينة تتمتع بالمساحات حتى تحت سمائها الرمادية، أحب طرقاتها وهواءها المثقل بالضجر الأرستقراطي.

منذ قليل كانت هناك ندوة صحفية، غدا ندوتي في مسرح جميل ذي منصات تعود للقرن الثامن عشر، كما أحبها «ستاندال – Stendhal» الذي أجاد وصفها. الإيطاليات جميلات رغم الثلج، السيّدات المسنّات هنا لديهن وجوه جميلة أيضا تلامس قلبي. حسنا، سأخرج. لقد ألصقوني في هذا النزل الذي يزعجني. هذا الصباح كفَّ الثلج عن التساقط، لكن الجو رمادي وقاتم. مشيت تحت الأقواس التي لا تعد في هذه المدينة، إلى أن وصلت إلى «بو».

أرجو أن تكوني سعيدة ومتألقة بحلول الظهيرة، أما أنا فسعيد بوجودي هنا، وعلى وجه الخصوص بعيدا عن باريس. لكنني لست مبتهجا بابتعادي عنك، ويحزنني أن نجوب العالم متباعدين أحدنا عن الآخر. إيطاليا وأنت، هذا هو النعيم بالنسبة إليَّ. رسالتي القادمة ستأتيك وأنا في بلدي، آمل أن تجلب لك مزيدا من الشمس؛ ففي هذه اللحظة أنا أطلب الضوء حتى لألد أعدائي. أحبيني، كوني واثقة من قلبي ومن تفكيري وأخبريني أننا سننام معا في صقلية تحت لحاف البحر والزبد، وأفواهنا مليئة بالضوء. هذه الرغبة المفعمة بالحياة، هذا الحب الذي يلحمنا، هذا كل ما ينقصني هنا؛ وهذا سبب انتظاري. إلى اللقاء حبيبتي الرحالة الصغيرة، سنتوقف عن هذا السفر كي أقبلك إلى نهاية الأزمان.

أ.

51

9 مايو 1955

حبيبتي العزيزة،

وجدت رسالتك المستاءة عند عودتي من الجزر، كلا عزيزتي، أنت لم تغادري حياتي. صحيح أنني أعيش سعيدا هنا، لكن سبب سعادتي هو أني أعيش قرب المركز، المركز حيث توجدين. لقد قضيت ثلاثة أيام وأنا أتجول في الجزر والأرخبيل. مازلت مذهولا بالضوء والبحر والحرية؛ ذلك أنها حرية نتذوقها بلا قيود، هنا على هذا المركب الصغير، بينما لا يوجد سوى أربعتنا كي نشق هذا البحر الأزرق الملكي، تحت سماء مذهلة بين الجزر المغطاة بالزهور والآثار. لا يمكن وصف ذلك، لكن بالنسبة إلي... هنا يقع قلب العالم.

غدا صباحا أتجه للأوليمبيا وسأعود منها يوم الخميس. الجمعة سأذهب لزيارة جزيرة أخرى، ثم سأستقل الطائرة يوم الإثنين. أما الثلاثاء فسأضمك بين ذراعيّ. سعادة عميقة أشعر بها بسبب اقتراب لقائنا، ولأنني أيضا سأجلب لك سعادة جديدة، سعادة وجدتها هنا؛ في هذا السفر، أعني أن اليونان هزتني. أعلم أن عشرين يوما من هذه الشمس ستساعدني على العيش... حاولي أن تتخلصي من الملل، تجمّلي واستقبليني. أحبك، أحبك إلى الأبد، لكن هذه المرة في الضوء، من كل قلبي.

إلى اللقاء قريبا عزيزتي. سأكتب لك مرة أخرى إن تمكنت من

ذلك، وقريبا سأحبك حقا وأضمك إلى صدري. أقبّل فمك، أقبّل ضحكتك؛ ضحكة الحياة... إلى الغد حبيبتي.

أ.

52

11 مايو 1955

حبيبتي العزيزة،

أرجو أن تكون هذه آخر رسالة أكتبها لك إلى حين عودتك؛ إشارة أمل وخلاص. اشتقت إليك كثيرا، أكثر مما كنت أتوقع، ربما لأنني في حالة ركود، حتما لا يوجد سواك، لا أحد قادر على إثارة حماسة المراهق داخلي غيرك.

حاولت بكل ما أوتيت من قوة أن أشغل نفسي عن غيابك؛ فخرجت، ورأيت «الناس»، قرأت بعين واحدة، وأنصت إلى الربيع بأذن واحدة وحاولت أن أكتب، ولكن بدون جدوى.

عودي إذن وأحييني. تعالي بسرعة، الغياب جيد، لكن ليس إن تجاوز حده.

تعالي يا حبي العزيز، أنتظرك بلا صبر.

أ.

53

الإثنين 26 مارس 1956

حبيبتي العزيزة،

أكتب لك قبل أن آوي إلى الفراش وجسمي مكسر حرفيا. قضيت السبت والأحد على الطريق تحت مطر لا ينقطع، وبالأمس بعد الزوال، وحال وصولي مرهقا، كانت المفاجأة في انتظاري: البيت بلا كهرباء أو ماء أو تدفئة، كان البيت باردا حتى النخاع. كان ضروريا، إذن، أن أوقد نارا، وأن أجلب بعض العمال لتنظيف البيت حتى يصبح قابلا للسكن. ثم كان علي [بعد ذلك] تحضير طعام الطفلين، ووضعهما في سريريهما. انشغلت بعد ذلك بالاستعداد لاستقبال أخي في اليوم اللاحق، أي اليوم. شرعنا منذ الصباح الباكر في الأشغال، غيرنا مكان بعض الأثاث، ثم قمت بالبحث عن مساعدة منزلية، وأخيرا كان علي الذهاب إلى «أفينيون» لأستقبل أخي، وأيضا لأقتني بعض الأشياء، وأشغال أخرى، إلخ. وفي خضم كل هذا، لدي طفلان يجب إطعامهما ومراقبتهما والاعتناء بهما. لقد طُحنت هذا المساء.

لحسن الحظ توقف المطر هذا الصباح. تجولت قليلا في الحديقة تحت قمر بديع ونجوم تنتشر كالنمل في السماء. الأغصان تتدلى عارية لا شيء ينبت فيها سوى النجوم. في لحظة ما شعرت بالسلام يرخي بجناحيه عليّ، وفكرت فيك بكل حنان القلب. هذا ما أردت قوله.

غدا سأذهب للقاء أمي في «مارينان»، وأرجو أن يكون كل شيء هنا مرتبا حينها. ثم فيما بعد سأحاول العمل قليلا. أطلعيني إن جاءت «باتريسيا» من أجل «الصلاة – Le requiem»[28]. فأنا سأفرغ منها هنا (المسرحية وليس «باتريسيا»). على الأقل هذا ما أخطط له. لكن لا أشعر أني بخير، كما أظن أنني محموم. أندم على الجولة في «مونمورنسي»[29]، وعلى تفريطي في استقراري الذي أكرسه للعمل. فكرة أنني سأمضي فترة طويلة قبل أن أراك، تحزنني قليلا أيضا.

لكني أحبك من أعماق قلبي، أريد أن أعيش معك، ها قد قلت لك الحقيقة بدل أن أهيم هنا وهناك كي أحاول دون جدوى إسعاد الآخرين الذين أحبهم.

لكنها أفكار رجل متعب. وحيدا يعيش القلب من أجلك. أقبّلك بعنف كما في الأفلام القديمة. اكتبي لي.

أ. ك

(28) . تعود جذور فكرة هذه المسرحية إلى قراءة "كامو" لأعمال "وليام فوكنر"؛ حيث أعجب بعدد من كتاباته، ومنها روايته الحوارية "صلاة من أجل بتول" (Requiem pour une nonne)، التي نشرت سنة 1951؛ فحوّلها إلى مسرحية مُثِّلت على الخشبة سنة 1956.

(29) . في يناير 1956، استقر "ألبير كامو" في شقة "جول روي" في "مونمورينسي".

54

الأربعاء 28 مارس 1956

حبيبتي العزيزة،

شكرا لرسالتك. الآن، كل شيء مرتب هنا (أو تقريبا). لقد اكتمل نصاب العائلة، أظن أن الطقس السيء لا يشجع أمي على البقاء، ولكن ذلك لا يبدو على مُحيَّاها. أحاول أن أجعل خالي مشغولا ببعض الأعمال اليدوية، أما بالنسبة إلى أخي وزوجته فهما مهتمان ببعضهما البعض. الأطفال سعداء يتجولون بالدرَّاجة في هذا الريف الفسيح، ويتحملان البرد بسعادة. شرعت في العمل جديا على هذا العمل الغريب «الصلاة – Requiem». أما فيما يتعلق بـ«كاترين سيلرز»، اليافعة التي أنتظر منها جوابا بعد قراءة النص بالإنجليزية، فقد أرسلت إلي تليغرافا يقول: «موافقة، مع سعادة بالغة».

لكني أخشى أيضا أن يكون الدور ثقيلا على كتفيها الرقيقين، ويبدو أني سألغي بعضا من نوبات الجنون التي لا معنى لها سوى معك. يزيد هذا من الشجن الراهن الذي يتملكني، ومن التعب الذي تصيبني به هذه الحياة الغبية التي أجدني فيها.

لا يهم، أفضّل «كاثرين سيلرز» على ممثلة من نوعية «مادلان

روبنسون». لدي انطباع أنني سأستطيع أن أساعدها كي تلعب الدور حتى «تغرق» بطريقة مؤثرة.

ستقضي «فرانسين» بعض الأيام رفقة عائلتها في «دروم»، التي تبعد عن هنا بحوالي 150 كيلومترا، ثم ستعود إلى هنا نهاية الأسبوع القادم لكي ترى أمي، وتعود من ثمة معنا، أو أن ذلك مرجح جدا. وكي نتجنب الصدام (الحياة تواصل غباءها)، لا تكتبي لي بعد ظهر الإثنين أو الثلاثاء... وحتما سأطلعك على المستجدات.

السماء رمادية ولا تزال الريح تعصف، لكنها ريح جنوبية تنبئ بقدوم المطر. أما أنا فأنتظر ريح الشمال الجميلة التي تليها الشمس. الحقيقة أني أريد العودة، ولا شيء يغضبني سوى هذه التنقلات العديدة التي تفرق بيننا. غير أنك هنا رغم ذلك، وأشكر «النجم جوناس» على ذلك. إلى اللقاء، ملكتي، يا ريحي الشمالية، أودِعك قلبي وحبي وحناني، وأقبلك بقلب ممتن.

أ. ك

كتابي عنونته بـ **الصرخة**[30]، وسيصدر في نهاية أبريل، سيكون موسم تهاطل الأمطار المقتضبة. أقبّلك مجددا.

(30) . عنوان مؤقت لرواية "السقطة – La Chute".

20 أبريل 1956

حبيبتي العزيزة،

الطقس آخذ في التحسن. الشمس شاحبة لكنها تكفي كي توقظني قليلا. بالأمس مساء وجدت رسالتك، وقد نامت في حضني. قلق أنا بشأن صحتك، لكنني دافئ بحنانك. تتملك أميرة «غاليص» الضائعة لدى الفايكنكغ والساكسون كل أفكاري و كل قلبي.

ما الذي كنتُ بصدد فعله طوال الأيام الأربعة الماضية والتي مرّت كأنها يوم واحد؟

أعمل بالطبع، والدليل أنني أنهيت إعداد رواية **«السقطة»**، ليس عليَّ الآن سوى أن أنتظر صدورها. أعدت كتابة نص المحاضرة[31] التي ألقيتها في أثينا؛ لقد أرسلوا إلي تسجيلا لها قبل الطبع مدته ساعتان. قمت بتصحيح «الوجه والظهر – L'envers et l'endroit» بتوطئة[32] تعرفينها من أجل تحرير 99 نسخة قريبا. وفي النهاية عدت للعمل على قصصي.

أما بالنسبة إلى الوقت خارج البيت، فقد ذهبت مساء الإثنين

(31) . "حول مستقبل التراجيديا"، محاضرة ألقاها "ألبير كامو" في أثينا في التاسع والعشرين من أبريل سنة 1955.

(32) التوطئة موجودة في "المقالات" Albert Camus : Essais ، ص 88.

لمشاهدة فيلم «كارامازوف»، رائحة قاعة السينما وشكلها تجعلانك تفكرين في المبولة. تجدين داخل القاعة ثلاثين شخصا من الحي؛ عجائز متعبون، وبائع الجرائد، وبائع البطاطا المقلية، وثلاثة ملاعين على الأطراف، ومشروع صعلوكين، وأنا. من الواضح أن هذه الحكاية تجاوزت الجميع، يتم تمثيلها في ستوديو بممثلين إيطاليين غير معروفين.

لم يحتفظوا سوى بمشاهد الشرطة، حتى إنهم حذفوا السؤال عن الله بشكل جعل «كارمازوف» الأكبر يبدو مثل كعكة مفرغة، و«إيفان» لم يكن سوى بيروقراطي لا تعمل معدته جيدا، أما «أليوشا» فشخص غبي يعمل على التيليغراف. «دميتري» كان يقول في كل مشهد «أنا وضيع»، و«غروشينكا» كان لديها شيء ما، من الأمام والخلف، أما «كاترين» فلم يكن لديها شيء. كل هذا يقول إني شعرت بالذنب وأنا أستمتع بالمشاهدة، كما أني خرجت من الفيلم متأثرا؛ وهو ما يدل على أن «دوستويفسكي – Dostoïevski»، يعلو على كل شيء.

تناولت الغداء مع «جان غرونييه» و«لويس غيو – Louis Guilloux». أما في المساء فقد خرجت رفقة «ميشيل بوسوترو»، كما سبق وأخبرتك. بالأمس التقيت «كاثرين سيليرز»، وكانت بسيطة ولطيفة. كان جسمها مناسبا لشخصية «Temple»، سنرى... مساء الأمس ذهبت رفقة «ميشيل» و«جانين غاليمار» لمشاهدة فيلم **«العشاق الطفوليون»**؛ حيث قامت «تاني» بعمل رائع في المونتاج (لقد أحببت ذلك جدا)، ثم التقينا «تاتانيا»، التي أعطتها «كاترين سيلرز»

المسرحية لِكي تقرأها. المفاجأة هي أن «تاتانيا» تؤدي في الفيلم دور نادلة غبية ضاحكة، تقدم استنتاجات كثيرة في الدقيقة الواحدة، تمتلك ثديين عارمين ومؤخرة بارزة. لكن، للأسف، هذا الوحش الجميل لن يؤدي الدور.

لكن هذا لا يمنع أنها كانت طريفة على طريقتها. عند خروجنا من الفيلم وجدنا «تاتانيا» قد ارتدت معطفا ثمينا، في محاولة أنيقة أو شبه أنيقة، وقد وافقتْ على تأدية الدور؛ وكم أسعدني ذلك. ضحكنا معا، ثم عرضتُ أن أرافقها، فقالت: «نعم، أقطن في ساحة **فيكتور هوغو**». بعد أن أوصلت هذه السيدة الأنيقة إلى حيها، عدت كي أنام حالما بعد هذه الأمسية المليئة بالمفاجآت.

ما يزعجني بالنسبة إلى المسرحية أنه يستحيل أن يمثل فيها «سارج ريغياني»، لأنه لا يرد على المكالمات؛ وقد بدأ هذا الأمر يثير غضبي. آه، نسيت أن أخبرك أني التقيت الشاب «بورسييه»، وقد استقبلته بطريقة سيئة؛ أولا كان يريد نصا من أجل برنامجه في مسرحية «باتريس»، وثانيا أراد عرض نسختي من مسرحية «الإخلاص للصليب» في المهرجان. أخبرته أنني لم أسمع عن كل هذا قبل الآن، وأنني لا أستطيع لومه، ولكنه كان ينبغي أن يتوجه إلى منظم المهرجان من أجل أن يأخذ رأيي.

أعلم أني على خطأ، ولكن لَشَدَّ ما تغضبني تلك البساطة والسهولة اللتين تجعلان هؤلاء الراستينياك (Les Rastignacs)[33]

---

(33). "يوجين دو راستينياك – Eugène de Rastignac"، واحد من أهم أبطال روايات الروائي الفرنسي "أونوري دو بلزاك – Honoré de Balzac" (1799-1850). ابتدأت

الصغار المتعبين يظنون أنهم يمتلكوننا. أما بالنسبة إلى برنامجه، فقد أخبرته بضرورة أن أقرأ نص المسرحية أولا.

بالأمس تلقيت رسالة من «جيليبار» يفسر لي معتذرا لماذا طلب إعانة من السفارة السوفيتية.

حسنا، لقد انتهيت على ما أعتقد، سأذهب إلى المكتب، كم أرغب في أن أعرف أنك مرتاحة ومسترخية. أرغب كذلك بنفاذ صبر في أن أراك. لا يكن لك قلبي سوى الحنان. لا تنسيني، لا تشكي في حبي لك، حبي الحاضر والمستيقظ. بدونك تموت الأيام، والليالي تصبح بشعة، أما معك فيزهر كل شيء. عودي سريعا يا قلبي، يا جميلتي، ابتعدي عن الضجة، تنتظرك هنا شمس سرية... أحبك.

أ.

مغامراته في رواية "الأب غوريو – Le Père Goriot"، واستمرت بعد ذلك في عدد من رواياته المعروفة إجمالا بـ "الكوميديا الإنسانية". أصبح لقب "راستينياك" يطلق فيما بعد على كل شخص وصولي، يبذل أي شيء في سبيل الوصول إلى تحقيق مبتغاه.

56

الأحد 29 أبريل (1956)

قلبي، أكتب لك كلمة صغيرة لكي أعلمك أني سأغادر، وأني سأكون بدءا من الثلاثاء مساء في نزل «روايال بوجولي».

إنها تمطر منذ يومين، تبدين لي غائبة خلف جبال من الغيوم وقارّات من الصمت، وأنا حزين كفأر ميت، لكني أنتظر الشمس بفارغ الصبر، أقبّلك حبيبتي.

أ. ك

57

(6 يونيو 1956)

لقد ولدت من جديد، عجوزا شابا... منذ 12 سنة.[34]

(34) . الذكرى الثانية عشر للقائهما في السادس من يونيو.

58

الثلاثاء 19 يونيو 1956

حبيبتي العزيزة وصديقتي الرقيقة، رسالتك كانت مطمئنة لهذا الوحيد في باريس. الأمطار متواصلة هنا وقد أغرقت كل شيء. لقد كتبت قليلا ولم أتمكن من المواصلة، أنا مجتاح بعدد من الواجبات والخِدْمات التي يجب تقديمها لهؤلاء الباريسيين، أو في الحقيقة هؤلاء الجزائريين، (وصل عدد من الجزائريين المتشوقين «لإطلاعي» على المستجدات).

«السقطة» تواصل نجاحها (تباع خمسمائة ألف نسخة في اليوم) داخل الحيرة العامة. كم هو جنوني عدد هؤلاء الذين أعادوا قراءتها أو الذين ينوون إعادة قراءتها. لا بدّ أنني أكتب باللغة الصينية كي يكون العدد بهذا الحجم.

كانت الحصة الأولى من القراءة في «الماتوران» كئيبة كما سبق وأخبرتك في الهاتف. في أي مشقة وضعت نفسي؟ هذا بدون أن نأخذ في عين الاعتبار ذلك الشعور الذي يخبرني أني لن أخرج من هذه المشقة أبدا. في الحقيقة أشعر أني غير مدعوم بالمرة؛ لم أفعل في حياتي، أو أر، شيئا يستحق العناء. أقوم باقتناء بعض الحاجيات من أجل

شقتي[35]، وأوزع نفسي بين الغسيل والكي وأشغال أخرى. أشعر أن هذه الأيام تضيع هباء بدونك. ورغم أني أشعر أن العمل يسير بشكل سيء، إلاّ أني آمل أن أفرغ من كتابة القصص هذا الأسبوع. سأقوم بما تبقى (بريد، ومقالات.. إلخ) قبل الأول من يوليو. وفي «باليرمو – Palerme» سأبدأ أشغال روايتي[36]، بينما أقوم بالعمل على تحويل Requiem إلى مسرحية.

اجتازت «كاترين» امتحان السنة السادسة ابتدائي، لا أدعي أنني غير فخور، كما قد تعتقدين، لكني أتمالك نفسي كي لا أقول ذلك لكل الناس. «جان» يبدو لي سعيدا من أجل أخته. إنهما رائعيْن رغم أنهما لم يتمنيا لي عيد آباء سعيد.

حسنا، آن الأوان لكي تعودي. أحاول أن أشغل نفسي عنك، لذلك سأتناول العشاء مع «أندريه روسو» ومع «شار». رونيه العزيز في صحة جيدة، قال لي إن هذا الجيل الجديد من المثقفين يشبهون التحاميل، ولا عجب أن يتصرفوا إذن كذلك؛ أي أن يذوبوا. لكن كل هذا لا يعوض وجودك، ولا حبنا السعيد الحنون المفعم بالحياة. كم تسهل الحياة بجوارك، كم هي دافئة وخفيفة بقربك. أحبك، عودي بسرعة ولا تتركي أمستردام تؤخرك. أقبّلك يا صاحبة الخطايا.

أ.

(35) . يستعد "ألبير كامو" للاستقرار في شقة في الشانالاي بباريس، في نفس المبنى حيث يقطن صديقه "رونيه شار".

(36) . "**الإنسان الأول**" رواية ظلت غير مكتملة، عمل عليها "ألبير" لسنوات.

59

(1 يناير 1957)

سنة سعيدة ومجيدة لحبيبتي المتفردة.

مرفقة برسم للشمس.

60

9 مارس 1957

الساعة الرابعة بعد الزوال

صديقتي الرقيقة، لم أسمع صوتك ولم أتوصل برسائلك. أما أنا فأجدني داخل مزيج من القراءات المريعة والصحبة البشعة لرجال يشرّعون ويقطعون الأعناق ويهنئون بعضهم البعض على ذلك، ثم يعيدون الكرة. الطقس رائع وأود فعلا أن أتنزه، لكن عليّ أن أكون قد أنجزت جزءا هاما من المقال بحلول يوم الإثنين.

أنا مشغول، خاصة أني وافقت على المشاركة في اجتماع في قاعة «واغرام» بتاريخ 15 مارس[37]، للتحدث عن «المجر»؛ لذلك وجب عليّ أن أجهز مداخلتي، دون أن أتوانى عن إنهاء كتابة «فارس أولميدو – *Chevalier d'Olmedo*[38]» بحلول نهاية الشهر. يصيبني الدوار أمام كل هذا العمل غير المنجز وفي مواجهة هذا الوقت الذي لا ينتظر.

سأغادر في أبريل من أجل بعض النقاهة. سأجهز المسرحية كي نقوم بالبروفات في ماي، ثم سأعود لروايتي في يوليو. إلى حين ذلك،

(37) . ذكرى الثورة المجرية ضد النمسا.

(38) . مسرحية من الدراما الكوميدية برؤية "ألبير كامو" من أجل مهرجان Angers .

أنا منغمس في حكم الإعدام هذا وممتلئ بشعور من الدنس.

يوم الإثنين سأرسل لك «المنفى والملكوت - L'Exil et le Royaume»، التي من المفروض أن تصدر في ذات اليوم. هذا الكتاب لديه فرصة، لكني أرتعش مسبقا لفكرة الحماقات التي سيستفزها. لكني سأقتبس: «الكتابة. التوقيع. الصمت. الفخر».

لقد طمأنني تشخيص «ليهان»، لكن أتصور أن جولتك في مثل هذه الظروف ليست رائعة جدا، أنا أتحرق شوقا لعودتك. لا بدّ أن نقضي إجازة سعيدة بمفردنا أنا وأنت في يوليو أو في أغسطس إن كان ذلك ممكنا...

ها أنت ذي بعيدة، غائبة، هائمة على حافة أفكاري خلال كل هذه الأيام المرهقة والحزينة، ما أحوالك؟ اكتبي لي ثلاثة أسطر على بطاقة بريدية كي أحزر يدك وحركتها. لا تنسي خادمك الأبدي، المريض بعشقك، صديقك، ورفيقك في السلاح. أحبك حبا مستقرا بينما تغيبين أنت في الرذاذ، لقد طال الغياب، وأنا ألوّح لك يائسا. اتصلي بي هاتفيا على الأقل، وفي الانتظار أحبيني.

أضمك إلى صدري، هذه الأسطوانة المجروحة بحذر، وقيظ، قيظ، قيظ.

أ.

11 ديسمبر 1957[39]

أنا عاجز جسديا عن الكتابة بسبب هذا البرد. أكتب لك هذه الكلمة بينما أضم يدك حينا وأبتسم لك كي تساعديني حينا. أشعر أني السيد «ديدز – Deeds»[40] حاليا. أنا متعب ولا أستطيع الانتظار كي أرحل. هذا البلد مثير للاهتمام، لكن جائزة نوبل تمنعني من الاستمتاع به.

عند المساء تصبح هذه المدينة زهرية اللون، وفي الليل تصبح بيضاء. إلى اللقاء يوم الثلاثاء.

أقبلك إلى أن تذوب كل ثلوج السويد.

أ.

كانت الحرارة تحت الصفر بعشر درجات، وفجأة حين تلقيت تيليغرافا منك أصبح الطقس استوائيا.

(39). بطاقة تحمل عنوان Grand Hôtel Stockholm. أخذ "ألبير كامو" القطار رفقة زوجته، و"ميشيل" و"جانين غاليمار" ليصلوا إلى ستوكهولم في التاسع من ديسمبر 1957.

(40) . شخصية من فيلم لـ "فرانك كابارا": "L'Extravagant Mr Deeds"، تدعى السيد "ديدز"؛ وهو شخص هش وساذج يذهب إلى نيويورك كي يرث مبلغا كبيرا غير متوقع.

62

22 يوليو 1959

حبيبتي العزيزة،

حدسي الذكوري جعلني أستشعر من رسالتك قبل الأخيرة ما ستكتبينه في الرسالة الأخيرة. وفي هذا الصدد، أقول لك إنه توجد طرائق وطقوس للعمل لا تناسبك، لكن لا تقلقي، لا توجد الكثير من الخسائر. لقد كان النقد ثقيل الظل بعض الشيء، لكنه محترم. وفيما يخصك فقد كان النقد لطيفا. أعلم جيدا أنك لا تجدين ذلك مهما، وأن ما يؤرقك فعلا هو ضيق القلوب. لكن ذلك موجود في كل مكان. كما أني أعتقد أنه عليك أن تخرجي من هذا المكان، أن تجدي طريقة جيدة تُخرجين بها نفسك من كل هذا. سنتحدث عن ذلك عندما تعودين. لكن إلى حينها، اغتنمي فرصة الماء والسماء، تجمّلي وتصالحي مع العالم.

أما أنا فلا أملك الكثير كي أرويه، فحياتي مرتبة؛ أذهب كل صباح إلى المسبح قرب الطريق السيَّار حيث لا يوجد أحد، وأحاول أن ألتقط أنفاسي وأن أسبح قليلا. أعود لتناول الغداء عند «ليب»، ثم أعود إلى بيتي بعد الظهيرة كي أنظم عملي، أو كي أفكر. في المساء أخرج قليلا. ذهبت لمشاهدتك في فيلم «**أطفال الجنة**» وقد تأثرت حقا. كان بإمكان «مارسيل» أن يمثل دور «لورانس أوليفييه» الذي لم نجد أحدا ليؤدي دوره. أما أداء «بارول» فكان مؤثرا، «سالو» خيب

ظني بعد أن كانت له في ذاكرتي أفضل صورة.

ذهبت كذلك لرؤية اسمي، أقصد لمشاهدة «أورفيوس الزنجي – Orfeu negro»[41]، أمتعني الجزء الأول، أما الجزء الثاني فقد أثار تقززي؛ فقد أحسست أنهم بالغوا في التفكير، كما لاحظت جانبا استيطيقيا مزعجا. هذا المساء سأشاهد «ستاندبارغ» صحبة بعض الرفاق اليافعين، لكني سأكون في مضجعي بحلول منتصف الليل حتى أتمكن من الاستيقاظ باكرا لقضاء ساعتين من السباحة. نتيجة كل ذلك هي أني نحفت واكتسبت سمرة. وقد تجدينني قد عدت لأصبح مثيرا للمشاكل (أنا أمزح، لا تقطبي أنفك «الصغير»). على كل حال فأنا في صحة جيدة قلبا وقالبا، قلبي في سلام، ولدي أمل كبير.

نعم عزيزتي، باريس جميلة، الطقس ليس حارا جدا، في هذه المدينة نصف المأهولة تبدو المساءات ذهبية. ستحبينها عندما تعودين، وستجدين بعض السلام وقلبا أقل انقباضا. ستجدين حناني أيضا في انتظارك، يا أغلى اهتماماتي، حبيبتي الشجاعة التي أحبها وأعتز بها. إلى اللقاء قريبا، أصنع لك تاجا من القبلات وأضعه على رأس ملكة الأحلام.

أ.

أرجو أن تكون رسالتي الأخيرة قد وصلتك، كنت كتبتها منذ يومين أو ثلاثة.

---

(41). فيلم موسيقي متعدد الجنسيات (فرنسي، إيطالي، برازيلي)، من إخراج "مارسيل كامو – Marcel Camus"، عُرض للمرة الأولى سنة 1959.

63

23 مارس 1959

ها أنا ذا في المصحة الطبية رفقة أمي. لقد نجحت العملية التي أجريت لها رغم أنها تأخرت، ولا مفر من بعض المضاعفات في رئتيها تتم معالجاتها بالمضادات الحيوية. أما أنا فأتحلى بأمل كبير ولا أستطيع المغادرة الآن. لا تقلقي عليّ. هذه الغرفة في أعالي الجزائر المطلة على منظر مدهش للخليج تعد ملاذا جيدا للتأمل. سعيد لأني بالقرب من أمي، وأهم شيء الآن هو أن تتماثل للشفاء.

أقبّلك، وأشعر بقلبك.

أ.

64

22 مايو 1959

عزيزتي، أكتب لك هذه الكلمة لأؤكد لك موعد قدومي في الـ 28 من هذا الشهر. سأتصل بك أيضا. في الحقيقة، سأعود بسبب ندوة [ستنظم] في الـ 30 [من الشهر الجاري]. ستكونين بصدد القيام ببروفات، ثم إثر ذلك ستبدئين جولتك في بداية يونيو؛ لذلك قررت أن أبقى كي أتابع عملي، فهذا أفضل من لا شيء. أقول أفضل من لا شيء باعتبار أني أَعُد ما أكتبه الآن بمثابة شيء. أمرّ ببعض الأيام التي أجد فيها العمل صعبا، ولكن ذلك لا يعني أني لست متحمسا للكتابة، حتى إنني ذات يوم كنت قد شرعت للتو في الكتابة، فأحسست بهذا الانتشاء المذهل؛ وهو يبرر فكرة أننا يجب أن نعاني لسنوات كي نتعلم وكي نبدع. حاليا أترك الأشياء لحالها، ولكن لا يعني ذلك أن الحياة خالية وعقيمة في باريس. حسنا، سأواصل الكتابة في باريس رغم كل شيء. لقد كانت الانطلاقة صعبة بعض الشيء، وكان يجب أن أعود إلى هنا كي أجدد طاقتي.

أمطرت كثيرا اليوم ولا يبدو أن هذا المطر سينتهي. بالإضافة إلى ذلك كنت مغتاظا من «موررياك» بسبب أمر يخص التلفاز، ثم صرت مغتاظا من نفسي لأنني غضبت بسبب حماقة تافهة. غدا ويوم الأحد

لدي برنامج واضح للعمل غير المنقطع. إن سار كل شيء كما ينبغي فسأعود إلى باريس سعيدا. وحتى أكون صريحا معك، فأنا في الأصل سعيد، ليس بسبب ما أقوم به، بل بسبب ما تمكنت من القيام به.

أصبحت هذه الرسالة طويلة، كم أود أن ألقاك هذا المساء، لكنتِ أحببتِ هذا المنزل وهذه المساءات الهادئة، ورائحة الليل. لكنا هنأْنا بالراحة، لكن حياتي لا راحة فيها.

رسائلك ثمينة على قلبي، وقد ساعدتني. وكلا، لن أهجرك. قلبي مازال غضا، وهو ينبض في قربه منك بكل امتنان، وبكل رقة حبيبتي الوفية والعذبة.

أ.

65

الثلاثاء 14 يوليو 1959

حبيبتي، ها قد عدت بعد قضاء أسبوع غريب في هذه المدينة. تبدو مدينة «البندقية» مجنونة تحت الحر وهبوب الرياح. لقد أبلغتْ الجريدة المحلية عن وجود ثلاث حالات من نوبات الجنون بسبب الحر، وامرأة من بين من مسَّتهم هذه النوبات ألقت بنفسها من الطابق الرابع، عبر النافذة، كي تفرّ من الحر.

أما أنا فمازلت صامدا بمعية بقية أعضاء الفرقة أيضا. أنهكتني الأيام الأربعة التي سبقت العرض الأول، ثم إثر ذلك لم يعد هناك شيء سوى الحر المحيط بالمدينة، الحر الذي يقتل القطط التي جنّت وحاولت عبور القنوات، الحر الذي جعل البشر يهيمون بوجوه عدائية. كل شيء مختلط، لا نستطيع النوم، هائمون، نتغذى على المثلجات والقهوة الباردة، ولا نعلم متى يبدأ النهار، ومتى يبدأ الليل.

أنا وابنك لا نفترق، متبوعيْن ببقية القطيع، نقوم بجولة على ظهر الجندول كي نشاهد شروق الشمس وسط البحر حوالي الساعة الرابعة فجرا. ننام غالبا بين الساعة الثامنة ومنتصف النهار، ثم بعد ذلك جولة أخرى من القهوة الباردة والمثلجات ووجبات من السَّلَطة. يتحسن الطقس في المساء كي تبلغ درجة الحرارة 35 درجة. لم أقم بأي شيء طوال

هذه الأيام؛ فلم أقل أو أكتب أو أقرأ أي شيء، لم أحب شيئا ولم أرغب في أي شيء، لكنني كنت سعيدا سعادة بريئة. أما البندقية، هذه المدينة التي لن أقبل أبدا أن أعيش فيها، فبدت لي هذه المرة مدينة فاتنة إثر جولتي في بحيراتها، وتمتعي بقصورها التي تهترئ معالمها شيئا فشيئا. ظل بعض السياح يتسارُّون فيما بينهم بلا انقطاع كالنحل.

ماذا عنك؟ كيف تسير التدريبات على Le Songe؟ لابد أن الطقس حار في «أفينيون»، ولا بد أن البروفات في مثل هذا الطقس تنهك أميرتي. اكتبي لي أو هاتفيني، حدثيني عنك. سأحاول أن أرتب حياة هادئة هنا. إلى حينها، أرسل إليك كل الأماني الطيبة والدافئة ليوم 17؛ لم يتغير الموعد أليس كذلك؟

أنتظرك. أقبّلك من كل قلبي.

أ.

ملاحظة: لاقى عرض مسرحية «المسوسون – les possédés» نجاحا باهرا.

رسالة أخيرة

30 ديسمبر 1959

حسنا، رسالة أخيرة لا لشيء سوى لأخبرك أني سأصل يوم الثلاثاء، سآتي بالسيارة رفقة عائلة «غاليهار»، سيمرون بي يوم الجمعة[42]. سأتصل بك ما أن أصل، وقد أجد طريقة لنتناول العشاء معا يوم الثلاثاء إن لم يطرأ شيء على الطريق. سأهاتفك حتى أؤكد موعدنا.

أرسل إليك آلاف الأماني الرقيقة لرأس السنة، وأتمنى أن تتدفق الحياة عبرك طوال العام، كي تعطيك هذا الوجه العزيز الذي أحببته على مرّ السنين (لكنني أحبه أيضا وهو قلق وفي كل حالاته). أطوي معطفك الخاص بالمطر وأضعه في الظرف، وأرفق معه كل شموس قلبي.

إلى اللقاء حبيبتي، كم أنا سعيد بفكرة لقائك، حتى إنني أضحك

(42) . بعد استقراره في "روماران"، غادر "ألبير كامو" في اتجاه باريس في الثالث من يناير 1960 على متن سيارة "ميشيل غاليمار"، صحبة "جانين" و"آن غاليمار". أما "فرانسين" فعادت بالقطار. في يوم 4 يناير، وإثر حادث مؤسف على الطريق، توفي "ألبير كامو" في عين المكان، أما "ميشال غاليمار" فتوفي بعده بخمسة أيام في المستشفى.

بينما أكتب لك. لقد أغلقت ملفاتي إذ لا أستطيع العمل. (حشد من العائلة ومن أصدقائهم هنا).

لا أعذار لدي تجعلني أحرم نفسي ضحكتك، سهراتنا، وموطني. أقبّلك وأضمّك في انتظار يوم الثلاثاء؛ حيث سأحتضنك مجددا.

أ.



قبل الحادثة التي أودت بحياته بأربعة أيام، كتب ألبير كامو رسالة إلى ماريا كازاريس وعدها فيها بتناول العشاء رفقتها يوم الثلاثاء حال وصوله إلى باريس، وقد أخبرها أنه أغلق ملفاته؛ فلا مزيد من العمل، لا شيء سوى الأمنيات الطيبة لرأس السنة. كانت تلك رسالته الأخيرة للحبيبة التي راسلها لفترة امتدت من 1944 ل 1959.

ابتدأت قصة ألبير وماريا في السادس من يونيو 1944، يوم إنزال الحلفاء بالنورماندي. التقيا مصادفة، وكم يبدو ذلك عبثيا بالنسبة إلى شخص يقول في إحدى رسائله: على الحبيبيْن أن يفوزا بحبهما وأن يكسباه، أن يبنيا حياتيْهما وشعورهما . كانت ماريا تبلغ من العمر 21 سنة وكان ألبير يبلغ الثلاثين من عمره. أما زوجته فرانسين فكانت، آنذاك، بعيدة عنه بسبب الاحتلال الألماني. وحين انتهت الحرب قررت ماريا أن تنهي القصة، لتعود فرانسين ويعود إليها ألبير وتتوقف الرسائل.

ثم بعد فراق دام أربع سنوات، التقى ألبير بماريا في مصادفة ثانية في نفس تاريخ لقائهما الأول ليعودا مجددا حبيبيْن محبين للمسرح والسينما، وللبحر والرقص على موسيقى الجاز. وتدوم علاقتهما السرية المستحيلة حتى مماته.


9 786039 143789

WWW.PAGE-7.COM